الفصل الثاني

الأذرع

عزيزي القارئ، انظر عندما تتحدث مع شخص آخر حول ما يحدث في العالم العربي من ثورات، وما يتبع هذه الثورات، فإذا تطرق بينكما الحديث إلى احتمال وجود طرف ثالث تجد كم هائل من السخرية ينهال على من يتوقع وجود طرف ثالث، ومن أشهر ألفاظ السخرية التي تنطلق هي كلمة اللهو الخفي، يريدون بذلك التشويش على ما يفعلونه في السر والخفاء. فهم نجحوا في أن يجعلوا البعض منا يدافع عنهم من دون أن يدري ودون أي عناء، وربما يأتي بمبررات لا يستطيعون هم الإتيان بها إذا ما طولبوا بالدفاع عن أنفسهم. لهذه الدرجة يا إخواني أصبح لدينا ضعف في البصيرة! لهذه الدرجة أصبحنا مسيرين ومنساقين! تجد منا من يطالب بالحرية وهو لا يعرف ما هي الحرية التي يريدها، هو سمعها كما هي، ويرددها فقط كما هي، ولا يعرف مدى الخبث الذي يحتويه الغلاف الجميل لهذه الكلمة، أنها كلمة مزيفة روج لها عملاء الغرب في البلاد العربية؛ ليستطيعوا بهذه الكلمة المزيفة إحتلال العقول والقلوب دون الدخول في حروب، وبأقل تكلفة، ودون أي عناء؛ فبدأوا يدسون لنا السم في العسل ونحن نأكل ونأكل ولا نشبع حتى وقعنا فريسة لهم، وأصبحنا معهم كالريشة في مهب الريح تذهب بها كيف تشاء، إنه سم الحرية. إنه سم الديموقراطية. إنه سم الليبرالية. إنه سم العلمانية.وأنا في هذا البحث يا إخواني أحاول أن القي الضوء على مفاهيم الحرية الزائفة التي ضحكوا بها على عقول شبابنا، والتي تعتبر

بمثابة أذرع الإخطبوط، حتى وكأنها أصبحت عقيدة راسخة في عقولهم. فأبدأ باسم الله العلي العظيم وبتوفيقه في الكشف والتنقيب عن أعدائنا الحقيقيين، أو أن شئت قلت أذرع الطرف الثالث في الثورات العربية أو كما يحلوا للمستهزئين أن يقولوا اللهو الخفي، فأعيرني سمعك وقلبك عزيزي القارئ....

- **العلمانية:**

ما هي العلمانية ؟؟؟؟

لفظ العلمانية ترجمة خاطئة لكلمة (Secularism) في الإنجليزية، أو (Secularite) بالفرنسية [1]، وهي كلمة لا صلة لها بلفظ "العلم" ومشتقاته على الإطلاق.

فالعلم في الإنجليزية والفرنسية معناه (Science)، والمذهب العلمي نطلق عليه كلمة(Scientism)[2] والنسبة إلى العلم هي (Scientific) أو (Scientifique) في الفرنسية. والترجمة الصحيحة للكلمة في الإنجليزية هي (اللادينية) أو (الدنيوية)، بل بمعنى أخص هو ما لا صلة له بالدين، أو ما كانت علاقته بالدين علاقة مضادة.

وتتضح الترجمة الصحيحة من التعريف الذي تورده المعاجم ودوائر المعارف الأجنبية للكلمة:

تقول دائرة المعارف البريطانية مادة (Secularim) "هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم عن الاهتمام بالأخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها ."

(١)الكنز ، معجم فرنسي – عربي ، جروان ، المصدر السابق : ١٠٣٠.

(٢) المصدر السابق: ١٠٢٤.

ذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الأخر ، وفي مقاومة هذه الرغبة طفقت الـ (Secularism) تعرض نفسها، حيث بدأ الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية والبشرية وبإمكانية تحقيق مطامحهم في هذه الدنيا القريبة والمحببة لأنفسهم فقط.

وظل الاتجاه إلى الـ (Secularism) يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله، باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية[1].

ويقول قاموس "العالم الجديد" لو بستر، شرحًا للمادة نفسها إن معناها:-

١- الروح الدنيوية، أو الاتجاهات الدنيوية، ونحو ذلك. وعلى الخصوص:

نظام من المبادئ (Practices) يرفض أي شكل من أشكال العبادة.

٢- الاعتقاد بأن الدين والكنيسة لا دخل لهما في شئون الدولة وخاصة التربية العامة "[2].

ويقول معجم أكسفورد شرحًا لكلمة Secular:

١- دنيوي، أو مادي، ليس دينيًّا ولا روحيًّا: مثل التربية اللادينية، الفن أو الموسيقى اللادينية، السلطة اللادينية.

٢- أنها هي الرأي الذي يقول أنه لا ينبغي أن يكون الدين أساسًا للأخلاق والتربية[3].

---

(1) Ency. Britanaic Vol.Ixp. 19

(2) Websters New world Dictio. 128 B

(3) Oxford Advanced learners Dic.: 2053

ويقول " المعجم الدولي الثالث الجديد " مادة: (Secularism) تعني:

"اتجاه في الحياة أو في أي شأن خاص يقوم على مبدأ أن الدين أو الاعتبارات الدينية يجب ألا تتدخل في الحكومة ، أو استبعاد هذه الاعتبارات استبعادًا مقصودًا ، فهي تعنى مثلًا "السياسة اللادينية البحتة في الحكومة."

"وهي نظام اجتماعي في الأخلاق مؤسس على فكرة وجوب قيام القيم السلوكية والخلقية على اعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الاجتماعي دون النظر إلى الدين"[1].

ويقول المستشرق "أر برى" في كتابة "الدين في الشرق الأوسط" عن الكلمة نفسها:

"إن المادية العلمية والإنسانية والمذهب الطبيعي والقوانين والوضعية كلها أشكال اللادينية، واللادينية صفة مميزة لأوربا وأمريكا، ومع أن مظاهرها موجودة في الشرق الأوسط فإنها لم تتخذ أي صيغة فلسفية أو أدبية محددة، والنموذج الرئيسي لها هو فصل الدين على الدولة في الجمهورية التركية"[2].

والتعبير الشائع في الكتب الإسلامية المعاصرة هو "فصل الدين عن الدولة"، وهو في الحقيقة تعبير مضلل ولا يعطى المدلول الكامل للعلمانية الذي ينطبق على الأفراد وعلى السلوك الذي قد لا يكون له صلة بالدولة، بل يعطي مدلول خادع ولو قيل أنها "فصل الدين عن الحياة" لكان أصوب بل هو كذلك، ولذلك فإن المدلول الصحيح للعلمانية "إقامة الحياة على غير الدين" سواء بالنسبة للأمة أو للفرد، ثم تختلف الطوائف العلمانية في موقفها من الدين: فبعضها تسمح به، كالجماعات الديمقراطية الليبرالية ، وتسمى منهجها (العلمانية المعتدلة – Non Religious) (وهؤلاء قلة

(1) Websters Third New Iinternationl Dic.: 2053

(2) Religion in the Middle East A.J.ARBERY Vol.: 606-607

قليلة) أي أنها مجتمعات لا دينية ولكنها غير معادية للدين وطائفة أخرى تسمى (العلمانية المتطرفة – Anti Religious)، أي المضادة للدين، ويعنون بها المجتمعات الشيوعية وما شاكلها. وبديهي أنه بالنسبة للإسلام لا فرق بين المسلمين، فكل ما ليس دينيًّا من المبادئ والتطبيقات أي وفق الشريعة الإسلامية فهو في حقيقته مضاد للدين، فالإسلام واللادينية نقيضان لا يجتمعان ولا يمكن أن يجتمعان ولا واسطة بينهما[1] ولوعلم العلمانيون المسلمون هذه الحقائق عن تعريف العلمانية لتبرأوا منها وركلوها بأقدامهم؛ لأني على ثقة أن فطرتهم سليمة ونقية.

العلمانية: صنع في أوروبا:

لقد نشأت العلمانية في الغرب نشأة طبيعية نتيجة لظروف وأوضاع تاريخية؛ دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية – خلال قرون من التدريج والنمو الطبيعي، والتجربة والتكامل حتى وصلت لصورتها التي هي عليها اليوم، وأهم هذه الظروف والمعطيات التي جعلت الطريق سهلًا وممهدًا لنجاح تجربة العلمانية في الغرب هي:

١- **السبب الأول**: طبيعة الديانة النصرانية ومبادئها الأساسية التي تقوم على الفصل بين الدين والدنيا، أو الفصل بين الكنيسة والدولة ونظم الحياة المختلفة؛ لأنه لا يوجد شريعة مسيحية تنظم حياة الفرد المسيحي، فهي ديانة روحية شعائرية لا شأن لها بنظم الحياة وشؤون الحكم والمجتمع بعكس الدين الإسلامي، ويعبر عن ذلك الشاعر النصراني "دع ما لله لله، وما للقيصر للقيصر ..!" ولهذا فإن النصارى أممًا وشعوبًا حين يندفعون للبحث عن تنظيم أمور حياتهم في العلمانية أو غيرها ، لا يشعرون بأي حرج من ناحية دينهم ومعتقداتهم، مثل المسلمين ، بل هي تعتبر المنقذ لهم لأنه لا بد من منظم لحياتهم، بل إن طبيعة دينهم تدفعهم لهذا الأمر؛ لأنهم

(١) انظر تفصيل حكم الإسلام في العلمانية في الباب الخامس من هذه الرسالة ص ٦٦٣.

ليس لديهم تشريع ينظم حياتهم، ولذلك فإن نشأة العلمانية وانتشارها وسيادتها في المجتمعات الغربية أمر طبيعي بالنسبة لهم.

٢- **السبب الثاني في علمانية أوروبا**: الصراع الذي نشأ بين الكنيسة وقساوستها والاكتشافات العلمية في جوانب الحياة المختلفة، فعلى الرغم من أن الديانة النصرانية ديانة روحية بحتة إلا أن الكنيسة وجدت هذه الاكتشافات العلمية فرصة لملء الفراغ والفجوة الموجودة بين الدين المسيحي وتنظيم شؤون الحياة، فأخذت بعض النظريات العلمية القديمة في بعض العلوم لتنظيم شؤون الحياة وتدعي أنها من الدين المسيحي(شكل من أشكال التحريف) وبعد فترة زمنية جعلتها جزء من الدين يحكم على كل من يخالفها بالردة والمروق والهرطقة. ولم تضع هذه الكنيسة في حساباتها أن العلم عندما يتطور فستأتي نظرية لتهدم نظرية قديمة أخرى وبالفعل قد كان، فحين تطورت العلوم الطبيعية تبين أن الكثير من تلك النظريات السابقة - والتي وضعتها الكنيسة كقوانين للحياة - كانت خاطئة وخلاف الصواب والحقيقة، فحاولت الكنيسة إصلاح الخطأ بخطأ وبدأت تدافع عن تلك الأخطاء والنظريات القديمة باعتبارها من الدين، واشتعلت الحرب بين الكنيسة والعلماء، وسقط ضحايا كثيرون من علماء الطبيعة ما بين مقتول ومحروق ومشنوق، ومارست الكنيسة أقصى درجات القمع الفكري والبدني على معارضيها، وجنت الكنيسة على الدين حين صورته للناس دين الخرافة والدجل والكذب والإرهاب (بقتل العلماء)؛ بسبب إصرارها على أن تنسب إليه ما هو منه براء. هم ضحكوا على الشعب وحرفوا معتقداتهم بسرقة نظريات واكتشافات علمية كانت باهرة في وقتها ثم انهدمت هذه النظريات مع تقدم العلم فبدلًا من أن تعترف الكنيسة بخطأها دافعت عن الخطأ ولكن حين تكشفت للناس الحقائق وقامت البراهين القاطعة على صحة أقوال أهل العلم انحازالعامة للحقيقة

ونبذوا الكنسية ودينها، أو على الأصح ردوا الديانة النصرانية المحرفة إلى أصلها وطبيعتها وحقيقتها، لا شأن لها بالعلم والحياة والنظم والكشوف، فكان ذلك قوة دافعة جديدة لسادة العلمانية، تدعمها الاكتشافات العلمية الجديدة والعقول المفكرة.

٣- **السبب الثالث**: قامت في الغرب حركة اجتماعية فكرية سياسية شاملة بمساندة ماسونية قوية تدفعها في الخفاء؛ لتقضي غبار الماضي، فثارت على كل قديم، واحتدمت نيران الصراع بين القوى الاجتماعية والسياسية الجديدة (المطالبة بالتغيير) والقوى القديمة التي يمثلها الإقطاع وطبقات النبلاء والأغنياء، وأخطأت الكنيسة مرة أخرى حينما انحازت أيضًا للقوى القديمة، بينما كانت القوى الجديدة تطالب بالحريات والمساواة، وترفع شعار حقوق الإنسان، وطبعًا هي شعارات ماسونية بحتة ويدعمها العلم وحقائقه، وتطور الحياة وسنتها ... فالتفت الشعوب والجماهير حول القوى الجديدة الداعية إلى التقدم الاجتماعي والتطور الفكري والسياسي، وكان يدعم هذا التوجه ما عاشته الشعوب من ظلم واستغلال بشع في ظل الإقطاع والكنيسة، وكانت العلمانية اللادينية هي اللافتة والراية التي اجتمعت القوى الجديدة تحتها، وبانتصار هذه القوى انتصرت العلمانية، واندحرت النصرانية، وأخذت القوى الجديدة تبشر بعصر جديد يسعد فيه الإنسان، وتحل جميع مشكلاته، ويعم السلام والرفاهية والرخاء جميع الشعوب ، وهو ما لم يتحقق إلا بعضه (في العلم فقط) وظهر بعد ذلك أن هذا لم يكن ليخدم الشعب ولكن هو كان بمثابة السم في العسل الذي تحول إلى حياة بهيمية وغرائز مندفعة ليس عليها رقيب أو مسيطر لأنه إتخذ إلهه هواه.

كيف انتقلت إلينا العلمانية ؟؟؟؟

لقد بزغ نجم العلمانية وعلا شأنه في الغرب للأسباب التي أشرنا إليها سابقًا،

وقد تصادف مع ظهورها في الغرب في نفس الوقت انحطاط وتخلف وهزائم في الشرق، فأصبح هناك علو في الغرب وتدني في الشرق مما أتاح للغرب أن يستلم زمام قيادة ركب الحضارة البشرية بما أبدعه من علم وحضارة ، وما بذله من جهد وتضحية ، فكان أمرًا طبيعيًّا أن يسعى الغرب لنشر نموذجه الحضاري الذي يعيشه وأن يسوقه بين أمم الأرض ؛ لكي يضمن أن تبقى الأمم الأخرى تدور تابعة له وتكدح في سبيل مدنيته وازدهار حضارته، وكان تسويق الغرب للعلمانية في الشرق الإسلامي من خلال الوسائل والطرق الآتية:-

١ - من خلال الإحتلال العسكري الاستعماري:

فقد وفدت العلمانية إلى الشرق في ظلال الحروب العسكرية، وإذا كانت العلمانية في الغرب نتائج ظروف وأحداث محلية متدرجة وأخذت وقتًا طويلًا، فقد أتت إلى الشرق وافدًا أجنبيًّا جاهزًا متكاملًا الرؤى والبرامج صنع تمامًا في أوروبا، حاولوا تطبيقه عندنا تحت تهديد السلاح وبالقسر والإكراه، كمن يصرّ على استنبات نبات في المناطق الاستوائية وهو لا ينمو إلا في القطب الجليدي، وفي هذا من المصادمة لسنن الله في الحياة ما يؤكد فشل التجربة قبل تطبيقها؛ لأن الظروف التي نشأت فيها العلمانية في أوروبا وتكامل مفهومها عبر السنين تختلف اختلافًا جذريًّا عن ظروف البلدان العربية، فالشرط الحضاري الاجتماعي التاريخي الذي أدى إلى نجاح العلمانية في الغرب مفقود في الشرق (لوجود الشريعة الإسلامية التي تقف حائط صد منيع للعلمانية) وأعني بالشرق هنا الشرق الإسلامي، ولذلك فلا عجب إن كانت النتائج مختلفة تمامًا كما سنرى .

٢-جاءت العلمانية إلى الشرق من خلال البعثات التي ذهبت من الشرق إلى الغرب لطلب العلم والتقدم ، فعاد الكثير منها بالعلمانية (بفتح العين) لا بالعلم ، ذهبوا

لدراسة الفيزياء والأحياء والكيمياء والجيولوجيا والفلك والرياضيات فعادوا بالأدب واللغات والاقتصاد والسياسة والعلوم الاجتماعية والنفسية (التي تخدم العلمانية)، بل وبدراسة الأديان وبالذات الدين الإسلامي في الجامعات الغربية، ولك أن تتصور حال شاب مراهق ذهب يحمل الشهادة الثانوية وألقى بنفسه بين أساطين الفكر العلماني الغربي على اختلاف مدارسه ، بعد أن يكون قد سقط إلى شحمة أذنيه في بئر الإباحية والتحلل الأخلاقي (وفضلات الحمار الأوروبي) وما تولد لديه من صدمة نفسية واضطراب فكري ، ليعود بعد عقد من السنين بأعلى الألقاب الأكاديمية ، وفي أهم المراكز العلمية بل والقيادية إلى أمته التي أصبح ينظر إليها بازدراء واستهزاء، وينظر إلى تاريخها بريبة واحتقار ، وإلى قيمها ومعتقداتها وأخلاقها بشفقة وعطف . إنه لن يكون بالضرورة إلا وكيلًا تجاريًّا معتمدًا لمن علّموه وثقّفوه ومدّنوه ، وهو لا يملك غير ذلك (إلا من رحم ربي)، ولئن كان هذا التوصيف للبعثات الدراسية ليس عامًا ، فإنه الأغلب وبالذات في أوائل عصر البعثات ، وما " طه حسين " و"رفاعة الطهطاوي" إلا أمثلة وتجارب بسيطة وأقل شراسة أمام غيرهم من الأمثلة الصارخة الفاقعة اللون، مثل: " زكي نجيب محمود" و"محمود أمين العالم" و"فؤاد زكريا" و "عبد الرحمن بدوي" وغيرهم الكثيرين جدًّا الآن .. ولئن كان هذا الدور للبعثات العلمية ثم ابتداء من خلال الابتعاث لعواصم الغرب فإن الحواضر العربية الكبرى، مثل: "القاهرة – بغداد – دمشق" أصبحت بعد ذلك من مراكز التصدير العلماني للبلاد العربية الأخرى، من خلال جامعاتنا وتنظيماتنا وأحزابنا المصرية وبالذات لدول الجزيرة العربية ، وقلّ من يسلم عقله من تلك اللوثات الفكرية العلمانية، حتى أصبح في داخل الأمة العربية طابور خامس ، وجهته غير وجهتها وقبلته غير قبلتها ، وإنهم بلا شك هم أكبر مشكلة تواجه الأمة لفترة من الزمن ليست بالقليلة لا يعلم مداها إلا الله تعالى.

٣- من خلال البعثات التبشيرية:

فالمنظمات التبشيرية النصرانية التي جابت العالم الإسلامي شرقًا وغربًا من شتى الفرق والمذاهب النصرانية جعلت هدفها الأول زعزعة ثقة المسلمين في دينهم، وإخراجهم منه، وتشكيكهم فيه، حتى وإن لم يعتنقوا النصرانية، ولا يوجد أحسن من العلمانية وسيلة لهذا الغرض، كما ورد في كتاب "الغارة على العالم الإسلامي".

٤- من خلال المدارس والجامعات الأجنبية:

ففي أواخر الدولة العثمانية (بعد إقصاء السلطان عبد الحميد) وحين سيطر الماسونيون العلمانيون على مقاليد الأمر تم السماح للبعثات التبشيرية والسفارات الغربية بإنشاء المدارس والكليات، وانتشرت في بلاد الشام والأناضول انتشار النار في الهشيم، وخرجت أجيال من أبناء وبنات المسلمين أصبحوا بعد ذلك قادة الفكر والثقافة ودعاة التحرير والانحلال . ومن الأمثلة على ذلك الجامعة الأمريكية في بيروت، والتي في أحضانها نشأت العديد من الحركات والجمعيات العلمانية، وقد سرت العدوى بعد ذلك إلى الكثير من الجامعات والمؤسسات التعليمية الرسمية في العديد من البلاد العربية والإسلامية، وقد قام خريجوا هذه المدارس والجامعات بممارسة الدور نفسه حين عادوا لبلدانهم أو ابتعثوا للتدريس في بعض البلدان الأخرى.

٥- من خلال الجمعيات والمنظمات والأحزاب العلمانية:

التي انتشرت في الأقطار العربية والإسلامية، ما بين يسارية وليبرالية وقومية وأممية وسياسية واجتماعية وثقافية وأدبية، بجميع الألوان والأطياف وفي جميع البلدان، حيث إن النخب الثقافية في غالب الأحيان كانوا إما من خريجي الجامعات الغربية أو الجامعات السائرة على النهج ذاته في الشرق.

٦- من خلال البعثات الدبلوماسية:

سواء كانت بعثات للدول الغربية في الشرق، أو للدول الشرقية في الغرب، فقد أصبحت في الأعم الأغلب جسورًا تمر خلالها علمانية الغرب الأقوى إلى الشرق الأضعف من خلال الإيفاد، ومن خلال المنح الدراسية وحلقات البحث العلمي، والتواصل الاجتماعي، والمناسبات والحفلات ويكفيهم تجنيد اثنان أو ثلاثة من كل بعثة لخدمة ونشر أفكارهم وليس بالضروري تجنيد جميع من يذهبون فبالطبع ومن المؤكد أن هناك من يسافرون وينكرون هذه الأفكار ويرجعون وهناك من يسافرون ويأخذون ما يريدون ويكونون أذكى منهم فيتعلمون ويرجعون ولا يطبقون تلك الأفكار ولكن المأساة فيمن يقعون بالفخ ويأكلون الطعم.

٧- من خلال وسائل الإعلام المختلفة: من مسموعة أو مرئية أو مقروءة وهذا هو أهم وأخبث طرق انتشار العلمانية على الإطلاق؛ لأنه يدخل كل بيت دون استئذان.

فهذه الوسائل كانت من الناحية الشكلية من منتجات الحضارة الغربية، صحافة أو إذاعة أو تلفزة ، فاستقبلها الشرق واستقبل معها فلسفتها ومضمون رسالتها، وكان الرواد في تسويق هذه الرسائل وتشغيلها والاستفادة منها إما من النصارى أو من العلمانيين من أبناء المسلمين ، فكان لها الدور الأكبر في الوصول لبيوت جميع طبقات الأمة، ونشر مبادئ وأفكار وقيم العلمانية، وبالذات من خلال الفن المسموم وسيناريوهات الأفلام والمسلسلات البذيئة.

٨- من خلال التأليف والنشر في فنون شتى من العلوم وبالأخص في الفكر والأدب:

فقد جاءت العلمانية وافدة في كثير من الأحيان تحت شعارات المدارس الأدبية

المختلفة، متخفية برداء التجديد والحداثة والتحضر، معلنة الثورة على كل قديم في الشكل والمضمون وفي الأسلوب والمحتوى، ومثل ذلك في الدراسات الفكرية المختلفة في علوم الاجتماع والنفس والعلوم الإنسانية المختلفة، حيث قدمت لنا نتائج كبار ملاحدة الغرب وعلمانيه على أنه الحق المطلق الصريح، بل العلم الأوحد ولا علم سواه في هذه الفنون.

٩- من خلال الشركات الغربية الكبرى التي وفدت لبلاد المسلمين مستثمرة في الجانب الاقتصادي:

فكانت من خلال ما جلبته من قيادات إدارية وعمالة فنية احتكت بالشعوب الإسلامية سببًا مهما في نشر الفكر العلماني وقيمه الاجتماعية و انعكاساته الأخلاقية والسلوكية.

توغل العلمانية داخل الحياة الإسلامية:

أولًا: في الحكم والتشريع:

روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: "لينقضن عري الإسلام عروة عروة، فكلما انقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها وأولهن نقضًا الحكم وآخرهن الصلاة."[1].

ولقد بدأ الانحراف في تصرفات الحكام المسلمين قديمًا غير أن سقوط هذه العروة لم يظهر إلا في العصر الحديث حين بلغ المسلمون قمة الضعف وغاية التدهور. كان الإسلام طيلة القرون السابقة أقوى في النفوس من أن يستبدل به أي منهج آخر، وكانت الجاهلية أحقر من أن تهدمه أو تطمع في أبنائه غير أن الحال

(١) المسند : ٥/ ٢٥١، وسنده صحيح.

في العصر الحديث قد انعكس تمامًا فتسربت العلمانية إلى العالم الإسلامي وانقضت وسقطت تلك العروة الكبرى (الحكام).

فمن الوجهة السياسية لم يكن في العالم الإسلامي شيء يمكن أن يسمى الفهم السياسي، بل كان الأمر متروكًا لأهواء الحاكم حتى أن الوصف المبالغ فيه الذي أطلقه بعض الباحثين الغربيين على حال المسلمين في القرن الماضي يعتبر صحيحًا إلى حد ما، فقد قال في وصفه (مستهزءًا) لعقلية الإنسان الشرقي:

"وقد ارتسمت شريعة موجزة في جبهة كل إنسان شرقي، شريعة ليس لها مثيل في الوصايا الأوروبية العشر (أي لا توجد)، وهي: عليك أيها الرجل الشرقي أن تجعل الرجل الذي يقيمه الله عليك ملكًا وتقدسه وتعبده (انظر إلى قمة المبالغة في الاستهزاء)، فإذا أحبك أحبه وإذا استلب أموالك ومتاعك واضطهدك شر اضطهاد فأحبه على ذلك أيضًا، وإياك أن تحول عن هذا؛ لأنه سيدك وأنت عبده وهو مولاك المتصرف بك تصرف صاحب الأمانة في أمانته)[1]. فهو يستهزئ من قاعدة الولاء والبراء في الاسلام ويستهزئ من طاعة الحاكم، فكانت هذا الاستهزاءات بمثابة البدايات للتشكيك في الحرية في الإسلام ووضع البذور الأولى للعلمانية في الدول الإسلامية ساهم في ذلك اعتماد العلماء والفقهاء في القضاء والمحاكم على الشروح والحواشي والمختصرات في القرون السابقة التي كانت أقرب إلى الطلاسم إلى حد جعل الذين يفقهونها قلة ضئيلة، ثم أنها في الحقيقة لم تكن المصدر الوحيد للتشريع فبجانبها كانت أهواء ذوي السلطة وأعراف المجتمع وتقاليد القبيلة ... إلخ. كل ذلك كان سببه الانحراف في تصور الإسلام وفهمه وبالتالي في تطبيقه وتحكيمه وأعطى الفرصة لأعداء الإسلام أن يجدوا الثغرات التي يدخلون منها إلينا، ولذلك

(١) ستودراد، حاضر العالم الإسلامي: ٤/ ٤١.

فلم يكن هناك حلًّا إلا العودة إلى الإسلام بإيمان جازم وعقيدة خالصة وتطبيقًا كاملًا. ولكن للأسف حدث العكس تمامًا وهو الاتجاه للتخلص من جمود الفقه الإسلامي والطلاسم الغير مفهومة في كتب الشريعة خاصة مع انتشار التغيرات الحيوية الجديدة، وأيضًا توهم المسلمين بأن سبب تخلفهم هو عجزهم التنظيمي والإداري وأن تقليد الغرب هو الجدير بالقضاء على ذلك التخلف، وعلى هذا الأساس قامت الحركة المسماة "حركة الإصلاح" في جناحي العالم الإسلامي (تركيا ومصر).

ففي تركيا: وفي سنة ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م أصدر السلطان عبد المجيد مرسومه الشهير:

"لا يخفى على عموم الناس أن دولتنا العلية منذ مبدأ ظهورها وهي جارية (على) رعاية الأحكام القرآنية الجليلة والقوانين الشرعية، ولذا كانت قوة ومكانة سلطتنا السنية (أي وفق السنة المطهرة) وصلت حد الغاية، وقد كان الأمر على العكس منذ ١٥٠ سنة بسبب عدم الانقياد والامتثال للشرع الشريف ولا للقوانين المنيفة، فتبدلت قوتها بالضعف وثروتها بالفقر .. واعتمادًا على المعونة الإلهية. قد رئي من الآن فصاعدًا أهمية لزوم وضع وتأسيس قوانين جديدة تتحسن بها إدارة ممالك دولتنا العلية المحروسة ، والمواد الأساسية لهذه القوانين هي عبارة عن الأمن على الأرواح وحفظ العرض والمال وتعيين الخراج وهيئة طلب العساكر للخدمة ومدة استخدامهم ..."[1]. أي هي فكرة للإصلاح وفق الشرع. والحق أن الإصلاح كان ضروريًّا جدًّا ، وليس لأحد أن يعترض على الفكرة في ذاتها، ولكن ما صاحبها من سوء الفهم لطريقة الإصلاح وتشويش التصور بالإضافة إلى سحق الشريعة الإسلامية بكاملها

(١) تاريخ الدولة العثمانية: ٢٥٤.

تحت شعار الإصلاح نفسه، وهو ما فعله أتاتورك كما سيأتي فيما بعد.

وفي استطاعتنا أن نلحظ ذلك من أول طريق الإصلاح بمطالعة تقرير اللجنة المشكلة لدراسة الحالة التشريعية في البلاد والتي انبثق عنها إخراج مجلة الأحكام العدلية:

"لا يخفى على حضرة الصدر العالي (الخليفة) أن الجزء الخاص بأمور الدنيا من علم الفقه ليست هي الوحيدة التي تنقسم إلى مناكحات ومعاملات وعقوبة، بل القوانين السياسية للأمم المتمدنة (يقصدون الغرب) تنقسم إلى هذه الأقسام الثلاثة أيضًا (!) ويسمى قسم المعاملات منها القانون المدني (!) لكنه لما زاد اتساع المعاملات التجارية في هذه الأزمان مست الحاجة إلى استثناء كثير من المعاملات الفقهية ووضع لهذه المستثنيات قانون مخصوص يسمى قانون التجارة ..."[1]. (بالطبع هو قانون وضعي وضعوه بدلًا من باب المعاملات في الفقه).

هكذا كانت حجرة العثرة الأولى ضد الشريعة الإسلامية متمثلة في قانون التجارة ، ثم ظهرت تلك الفكرة الدخيلة: وهي مقارنة الإسلام بالأنظمة الكافرة واعتبارها أمم "متمدنة" !

هذه السذاجة والغفلة عند منفذي الإصلاح الأوائل أصبحت عند الشباب التركي الدارس في أوروبا فكرة واعية ومبدأ مرسومًا". ومن ثم تبنى أولئك المثقفون ثقافة غربية مسماه بالإصلاح (وهو المنتشر الآن على جميع الأفواه في الثورات العربية) وحددوا مواصفاته الخاصة التي ترمي في النهاية إلى نبذ الإسلام والتمسك بركاب أوروبا الكافرة.

(١) المصدر السابق : ٢٩٨ – ٢٩٩ .

سرت في قلوب أولئك موضة التفرنج (وهذا المصطلح المعروف الآن بالأمركة ويزخرفونه ويطلقون عليه العلمانية) وتطور الأمر إلى أن أنشأت حركة ثورية تطالب بالإصلاح الداخلي (كما يحدث الآن تمامًا) عن طريق وضع حد لسلطة السلطان عبد الحميد المطلقة، وكان قادة هذه الحركة من مختلف الاتجاهات والميول والارتباطات لا يجمعهم إلا هذا الهدف وهو قيام حكومة دستورية. (لأنهم يعتقدون تمامًا أن الدستور هو مدرسة الفتن والثورات وهدم أي دولة)، ولا يهمهم أن يتفقوا على شيء بعد ذلك المطلب؛ لأن الشيء الوحيد الذي يتفقون عليه هو هدم الإسلام بالرغم إنهم مختلفون في كل شيء.

ووقع الصدام المحتوم بين هذه الحركة وبين السلطان عبد الحميد - رحمه الله - الذي كان يتبنى الإصلاح الحقيقي من خلال دعوته إلى الجامعة الإسلامية وإعلان الجهاد.

وفي سنة ١٨٩٧م استطاع السلطان عبد الحميد بحنكته ودهائه أن يشل هذه الحركة ويستميل كثيرًا من عناصرها، ولكن الجو الذي خلقته هذه الحركة والأفكار التي نشرتها ضد الإسلام كانت دافعًا مشجعًا لنشوء حركات سرية تأمرية تتمسح بشعارات وأهداف واهية وتخفي في أعماقها ما لم يكن في الحسبان. فهي وأن فشلت مع السلطان ولكنها وضعت البذرة للتوغل الماسوني العلماني.

وها قد تهيأ الجو لأعداء الأمة المتربصين كي يقضوا على الإسلام عقيدة وشريعة معتمدين على ذلك الجانب !

ذلك أنه في تلك السنة نفسها ١٨٩٧م اجتمع المؤتمر الصهيوني الأول وقرر أن تقوم دولة إسرائيل في فلسطين التابعة لحكم السلطان عبد الحميد.

وبسبب أن السلطان رفض بإصرار المساومة على فلسطين، ولأن الحقد اليهودي على الإسلام لم يخمد طوال العصور الماضية - ونظرًا لنجاح التجربة اليهودية في أوروبا فقد اقتضى الأمر تدمير الخلافة العثمانية بثورة شبيهة بالثورة الفرنسية في أهدافها وشعاراتها لتكون فاتحة ظهور دول علمانية في العالم الإسلامي على النمط الأوروبي ومن ثم تفتح الطريق أمام الهدف الأعظم والحلم القديم وإن شئت قلت الوهم القديم وهو "قيام حكومة يهودية عالمية دستورها التلمود وملكها من نسل داوود"[1].

ولا غرابة إطلاقًا في أن تكون اليد الطولى في هذا التدمير لأولئك اليهود الذين وسعتهم سماحة الإسلام حين ضيقت عليهم إسبانيا النصرانية[2].

ولا غرابة كذلك في أن يجد اليهود عناصر إسلامية من المغفلين أو ضعاف الإيمان عباد المال يبذلون تضحيات عظيمة ويشكلون التغطية الضرورية اللازمة للمؤامرة.

من هذين العنصرين (اليهود والمأجورين أو المغفلين من أدعياء الإسلام) تكونت الحركة العلمانية المسماة بحركة "الاتحاد والترقي" ضد السلطان عبد الحميد التي تسير وفق طقوس الماسونية العالمية.

لنقرأ ما أورده شيخ الإسلام فيهم[3] على لسان "سيتون واطسن":

---

(١) ليس في هذا أي مبالغة فقد توقع سرجي نيلوس ناشر البروتوكولات الروسي القضاء على حكم القياصرة في روسيا وعلى الدولة العثمانية تنفيذًا لمخططات اليهود وحدث ذلك بعد موته بسنتين.

(٢) أخرج فريناند وإيزابيلا اليهود من الأندلس بعد سقوطها في أيديهم فالتجأوا إلى الدولة العثمانية.

(٣) هو مصطفى صبري - انظر الاتجاهات الوطنية ٧٨/ ٢ وما بعدها مع الهوامش.

"إن الأدمغة الحقيقية في الحركة(الاتحاد والترقي) كانت يهودية أو يهودية – مسلمة. وقد جاءت مساعدتها المالية من العملاء الأغنياء ومن يهود سلانيك ومن الرأسماليين العالميين أو شبه العالميين في فينا وبودابست وبرلين وربما في باريس ولندن أيضًا".

"إن الحقيقة البارزة في تكوين جمعية الاتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلامية فمن تأسيسها لم يظهر بين زعمائها وقادتها عضوًا واحدًا من أصل تركي صافي، ولم يكن أحد من الناس يجرؤ أن يتنبأ أن هذه الفئة اليهودية المغمورة المعروفة بالدونمة ستلعب دورًا رئيسيًّا في ثورة كان لها نتائج خطيرة في سير التاريخ (العربي الإسلامي)"[1].

وبعد صراع مرير مع الخليفة وقفت فيه كل القوى الدخيلة والعميلة ضده وانتصرت هذه العصبة (لحكمة يعلمها الله) وأقصت عبد الحميد عن الخلافة بالقوة سنة ١٣٢٥هـ ١٩٠٩م (سبحان الله لهذه الدرجة بمجرد أن تتغير المفاهيم في العقول ويتم استعمار الناس فكريًّا يثورون على الحاكم سواء كان يحكم بشريعة الله أم لا يحكم بها)! وبزوال السلطان عبد الحميد زالت العقبة الأخيرة في طريق المخطط اللا ديني (العلماني!).

نجحت تلك العصابة في فصل الخلافة عن السياسة واختارت سلطانًا جديدًا لم يكن يساوي في نظرهم إلا أحد الحكام المؤقتين كالعادة لتنفيذ خطة في وقتها ثم يأتي البديل ليكمل، ورأوا أن المناخ لم يتهيأ بعد لإلغاء منصب الخلافة.

أما فكرة الجامعة الإسلامية التي كان يدعو إليها السلطان عبد الحميد فقد أبطلها أولئك ونادوا بفكرة القومية الطورانية معلنين أن حركتهم تهدف إلى تتريك

(١) القومية والغزو الفكري: ٢٦٩ – ٢٧٠.

الولايات العثمانية، وكانوا يقصدون – العرب – مما دفع العرب إلى التعلق ببريطانيا ووضع مستقبلهم في يد عميل المخابرات لورانس ليناوا هم أيضًا بالثورة العربية والقومية العربية (هربوا من عدو إلى عدو آخر).

ويذكر برنارد لويس أن المستشرقين ومنهم الكونت قسطنطين بوزريسكي الذي ادعى الإسلام وتسمى مصطفي جلال الدين هم الذين أسسوا فكرة الطوراني[1].

ثم أعلنت عصبتهم الدستور (ذلك الصنم الذي جعلوه أعظم الغايات) وجاء الدستور معبرًا عن أهدافهم اللادينية؛ إذ رفع شعارات الماسونية، وشدد على الحرية الدينية ومساواة غير المسلمين بالمسلمين في كل شيء باسم الوحدة الوطنية، وعطل عمل المحاكم الشرعية باسم الإصلاح والتقنين، مما أتاح الفرصة لأعداء الإسلام كي يتمكنوا من العمل بكل حرية ونشاط.

فهي دون أدنى شك حركة لا دينية سافرة، لكن الناس ظلوا مترددين بشأنها فلم تظهر أهدافها الحقيقية فقد كان المخطط ينفذ بدقة ماهرة ولكنه يقتضي اصطناع "بطل" تتراجع أمامه جيوش الحلفاء الجرارة ! وتعلق الأمة الإسلامية اليائسة أملها الكبير وحلمها المنشود فيه، وفي أوج عظمته وانتفاخه ينقض على الرمق الباقي في جسم الأمة فينهشه ويجهز عليها إلى الأبد![2] وهذا أفضل قطعًا من كل الـ"مائة مشروع لتقسيم تركيا"[3]. وهدم الإسلام.

---

(١) الغرب والشرق الأوسط برنارد لويس: ١٢٧.

(٢) انظر فصل صناعة الزعيم من كتاب عندما يحكم الطغاة، د.جريشة. وفي ظلال القرآن: ٨ / ٨٦ الغربية: ١٦. والدبلوماسية والميكافيللية، محمد صادق: ١٤٩.

(٣) عنوان كتاب ألفه: جوفار ولخصه الأمير شكيب أرسلان في حاضر العالم الإسلامي.

وتمت صناعة البطل بنجاح باهر (كمال أتاتورك) ووقف يتحدى الحلفاء[1] ولم ير الحلفاء بدًا من التفاوض معه وكانت ثمرة المفاوضات هي - الاتفاقية المعروفة باتفاقية "كيرزن" ذات الشروط الأربعة.

١-إلغاء الخلافة الإسلامية نهائيًّا من تركيا.

٢-أن تقطع تركيا كل صلة مع الإسلام.

٣-أن تضمن تركيا تجميد وشل حركة جميع العناصر الإسلامية الباقية في تركيا.

٤-أن يستبدل الدستور العثماني القائم على الإسلام بدستور مدني بحت"[2].

انظر يا أخي القارئ إلى عجب العجاب، بالله عليك أليست هذه هي نفس المطالب في كل الثورات العربية الآن؟ أليس بديهيًّا أن الفاعل واحد والطرف الثالث هو هو؟

ويصف المؤرخ "أرمسترونج" خطوات تنفيذ الاتفاقية قائلًا:

"انطلق أتاتورك يكمل عمل التحطيم الشامل للإسلام الذي شرع فيه، وقد قرر أنه يجب عليه أن يزيل جميع الأنقاض التي تحيط بها، هو حطم فعلًا النسيج السياسي القديم (أن صدق فقال النسيج الإسلامي)، ونقل السلطنة إلى ديمقراطية، وحول الإمبراطورية إلى قطر، وجعل الدولة الدينية جمهورية عادية، إنه طرد السلطان "الخليفة" وقطع جميع الصلات عن الإمبراطورية العثمانية، وقد بدأ الآن في تغيير عقلية الشعب بكاملها وتصوراته القديمة وعاداته ولباسه وأخلاقه وتقاليده وأساليب الحديث ومناهج الحياة المنزلية التي تربطه بالماضي"[3].

(١) الأبطال الحقيقيون لحرب الاستقلال ذكرهم مؤلف كتاب "الرجل الصنم" وعلى العموم فإن شجاعة المجاهدين الأتراك هي التي مكنت من ركوب الموجة، انظر الفصل الرابع من الكتاب المذكور.

(٢) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام: ١٧٤ والتفصيلات في الكتاب السابق.

(٣) الصراع بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية: ١٦.

وامتدح توينبي عمله بأنه أعظم من هتلر عبقرية في فن الهدم وقطع الصلة بالماضي (طبعًا لأنه ابن الماسونية النابغ البار)، وقال:

"إن الدولة التركية التي أقامها مصطفى كمال على النسق الغربي تبدو - وقت كتابة هذه السطور - عملًا ناجحًا لم يتحقق مثله حتى ذلك الوقت في أي بلد إسلامي آخر"[1].

وامتدحه (ولفرد كانتول شمث) - على طريقته الخاصة - قائلًا:

"... رأينا تركيا في سبيل رفعة شأنها وخلق مثل عليا جديدة لم تتردد في سحق السلطات الدينية وألغت تعاليمها وحررت الإسلام وكشفت النقاب عن الدين الحق القويم"[2]!! وأنا أقول أن الخلافة ضاعت على يد تركيا وستعود - إن شاء الله - على يد مصر وسيكون الفضل الأول فيها للتخطيط الماسوني الغبي الذي سيعلوا وسيعلوا ثم يهبط أسفل سافلين، وستكون الثورات العربية التي تسببوا فيها واعتقدوا أنها ستؤتي بثمارها في الشرق مثلما فعلت في الغرب. أقول لهم أن الوضع في الشرق مختلف تمامًا لأن الإسلام في دمنا وما زال ولن يزال هو المهيمن على حياتنا على عكس أوروبا التي وجدت في العلمانية التخلص من ظلم الكنيسة فكانت أرض خصبة لتوغل العلمانية فيها، ولكن عندنا الإسلام لم يظلمنا، ولكننا نحن الذين ظلمنا الإسلام، وهذا الإحساس بظلمنا للإسلام متوغل في كل خلية من أجسادنا، فهل تتوقعون أن نسمح بالعلمانية كمديرة لشؤون حياتنا ونظلم الإسلام أكثر وأكثر؟؟ هيهات هيهات لما توعدون أيها الماسونيون .

لقد نصب مصطفى كمال نفسه إلهًا من دون الله يشرع للأمة كما يشاء، فصنع

(١) مختصر دراسة التاريخ: ٣/ ١١٣.

(٢) الإسلام والخلافة: على الخربوطلي: ٢٨٥.

قانونًا فريدًا يتكون أكثره من القانون السويسري والقانون الإيطالي وغيرهما وأكمل الباقي من عنده، ومع ذلك فهو يدعي أنه كله من عنده قائلًا:

"نحن لا نريد شرعًا فيه قال وقالوا ولكن شرعًا فيه قلنا ونقول"[1]. يقصد عدم الاعتماد على كتب ومراجع علماء السلف.

ويصف أحد الكتاب الغربيين جلسة في مجلس النواب، فيقول أن مصطفى كمال وقف قائلًا:

"إن التشريع والقضاء في أمة عصرية يجب أن يكونا عصريين مطابقين لأحوال الزمان لا للمبادئ والتقاليد" إن انصف كان من المفروض أن يقول – مطابقين للتشريع الغربي لا للمبادئ الإسلامية.

ثم تبعه وزير العدل التركي شارحًا ومفسرًا:

"إن الشعب التركي جدير بأن يفكر بنفسه بدون أن يتقيد بما فكر غيره من قبله(يقصد علماء أهل السنة)، وقد كان كل مادة من مواد كتبنا القضائية مبدوءة بكلمة قال (المقدسة)، فأما الآن فلا يهمنا أصلًا ماذا قالوا في الماضي بل يهمنا أن نفكر نحن ونقول نحن"[2].

ويعترض عليه مرة أحد القانونيين بقوله:

"إن هذا النظام الذي تريدون وضعه لا يوجد في أي كتاب للقانون". فيتلقى الجواب التالي:

– إن النظم ليست إلا أشياء وأمورًا، تكيفت ومرت مع التجارب يتوجب علي

(١) حاضر العالم الإسلامي: ٣/ ٣٤٣.

(٢) المصدر السابق: ٣/ ٣٤٤، ٣٤٥.

أنا أن أنفذ ما أريد وعليكم أنتم أن تدونوا ما أعمل في كتب"!![1].

ونتيجة التطرف والغلو المفرط والأعمال التي لا مبرر لها إلا تنفيس الحقد الأوروبي على الإسلام اتخذت تركيا المتعلمنة تدبيرات وإجراءات غريبة حقًّا:

فقد ألغت بالعنف والإرهاب الكتابة التركية بالأحرف العربية، ثم تجرأت فحرمت الآذان بالعربية، وكتبت المصحف أو ترجمته بلغتها الهجين، وحددت عدد المساجد وأقفلت الكثير منها أو حولته إلى ما لا يتفق وقداسته كما فعلت بجامع (أيا صوفيا)، وألغت وزارة الأوقاف. وفرضت بقوة السلاح: المسخ الفكري وحتى المظهري على الأمة، وألغت الأعياد الإسلامية، وحطمت بصورة استبدادية مظاهر الحشمة والحياء الإسلاميين، فأكرهت النساء على تقليد المرأة الغربية في كل شيء، وحاربت بشدة صارمة كل من اعترض طريقها من المتورعين وحتى المعتدلين شيئًا ما من الكماليين[2].

ولذلك فإن حكومة تركيا العلمانية الكمالية - هي كما وصفها الأمير شكيب أرسلان - ليست دينية من طراز فرنسا وإنجلترا فحسب، بل هي دولة مضادة للدين كالحكومة البلشفية في روسيا سواء بسواء؛ إذ أنه حتى الدول اللادينية في الغرب بثوراتها المعروفة لم تتدخل في حروف الأناجيل وزي رجال الدين وطقوسهم الخاصة وتلغي الكنائس[3] كما فعل مصطفى كمال في تركيا.(طبعًا هو يقول هذا وقلبه يطير فرحًا وشماتة في الإسلام).

---

(١) الرجل الصنم: ٢٠٥.

(٢) انظر تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان، فصل "تركية والإسلام في الغرب" جان بول رو: ١٨١ ، ١٨٦، والصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية: ٥٩ - ٦٣.

(٣) حاضر العالم الإسلامي: ٣/ ٣٣٦.

والحقيقة شديدة المرارة أن مصطفى كمال قد خلق نموذجًا صارخًا للحكام في العالم الإسلامي وكان لأسلوبه الاستبدادي الفذ أثره في سياسات الحكام الذين جاؤوا بعده، كما أنه أعطى الاستعمار الغربي مبررًا كافيًا للقضاء على الإسلام، فإن فرنسا مثلا" بررت تنصير بلاد المغرب العربي وفرنجتها بأنه لا يجب عليها أن تحافظ على الإسلام أكثر من الأتراك المسلمين أنفسهم!! (بمعني أنهم ليسوا أحسن من تركيا - يعني تركيا بجلالة قدرها هدمت الإسلام ستطبقون أنتم الإسلام؟؟ هذه كانت حجتهم).

وليس أعجب من هذا الرجل وزمرته إلا من ينادون اليوم - من الزعماء - بإقامة حكومات علمانية في بلادهم، ويقولون أن مصطفى كمال هو قائدهم الروحي.

أما في مصر:

يقول (توينبي) أن مصر بدأت تتجه نحو الاصطباغ بالصبغة الأوروبية منذ أيام محمد علي متفوقة على تركيا[1]، كما يرى (جب) أنها سبقت تركيا في ذلك[2] وكان الخديوي إسماعيل مفتونًا بالغرب، وقد مهدت سياسته الفاشلة لتدخل بريطانيا في شؤون مصر ثم إحتلالها نهائيًا.

ومع الإحتلال جاء (كرومر) بمخططه الخبيث وبدأت القوى العالمية تشرف على حركة إلغاء الإسلام أو عزله عن شؤون الحياة كلها في مصر.

والحق أنه لم يكن لكرومر ولا لغيره أن ينجح لولا الزعماء والعلماء المصريين الذين تطوعوا بخدمته، فالحزب الوطني - أول حزب سياسي في مصر - يعلن برنامجه الرسمي سنة ١٨٨٢م ونجد فيه:

(١) مختصر دراسة التاريخ: ٣/ ١١٣.

(٢) وجهة الإسلام: ٤٢-٤٣.

"الحزب الوطني حزب سياسي لا ديني، فإنه مؤلف من رجال مختلفي العقيدة والمذهب، وأغلبيته مسلمون لأن تسعة أعشار المصريين من المسلمين، وجميع النصارى واليهود وكل من يحرث أرض مصر ويتكلم بلغتها منضم إليه؛ لأنه لا ينظر لاختلاف المعتقدات، ويعلم أن الجميع إخوان وأن حقوقهم في السياسة والشرائع متساوية"[1].

والثورة العرابية لو قدر لها أن تنجح فربما كانت سبقت مصطفى كمال بأشياء كثيرة فها هو أحد زعمائها يقول:

"كنا نرمي منذ بداية حركتنا إلى قلب مصر جمهورية مثل سويسرا، ولكنا وجدنا العلماء لم يستعدوا لهذه الدعوة لأنهم كانوا متأخرين عن زمنهم، ومع ذلك فسنجتهد في جعل مصر جمهورية قبل أن نموت"[2] وقال كرومر "إن الإسلام ناجح كعقيدة ودين ولكنه فاشل كنظام اجتماعي، فقد وضعت قوانينه لتناسب الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي ولكنه مع ذلك أبدي لا يسمح بالمرونة الكافية لمواجهة تطور المجتمع الإنساني"[3]. طبعًا هو يشير إلى أن الإسلام أصبح مثل المسيحية التي لا تحكم إطلاقًا الشؤون الحياتية للبشر ولكنها ديانة طقوس فقط (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) – ولكن أحفادك يا كرومر سيفيقون على كابوس مفزع لم يروه ولم يتوقعوه من قبل.

ثم أن كرومر قد حرص على أن يؤكد للمصريين "أن المسلم غير المتخلق بأخلاق أوروبية لا يصلح لحكم مصر، كما أكد أن المستقبل الوزاري سيكون للمصريين المتربين

(١) الاتجاهات الوطنية: ١/ ١٥٤.

(٢) المصدر السابق: ١/ ١٥٩.

(٣) المصدر السابق: ١/ ٢٥٩، ٢٦٠.

تربية أوروبية"[1] ومن هنا كانت رغبة المحتلين الشديدة في تعاون العلماء (المتنورين) معهم، وهي الرغبة التي تجلت في تشجيعهم للحركة "الإصلاحية" واحتضانها.

كان زعيم الإصلاح في مصر هو الشيخ محمد عبده الذي أبهره تقدم الغرب وتخلف المسلمين في كل ميدان فهب يدعو إلي الإصلاح متأثرًا بفكر جمال الدين الأسد الشهير بالأفغاني، وكان أمل المخطط اليهودي الصليبي - كما أوضح (كرومر وجب) وغيرهما - أن تكون حركة الشيخ مماثلة تمامًا" لحركة "سير أحمد خان" ((مؤسس جامعة "علي قره" بالهند التي تسمت "المعتزلة الجدد" وكانوا مفتونين بحضارة الغرب منبهرين بها إلى أقصى حد)).

ولكن ظروف مصر غير ظروف الهند، كما أن الشيخ وإن كان اعتزاليًّا متطرفًا[2] لم يستطع أن يصدم المشاعر الإسلامية بأكثر مما فعل، حيث قامت ضده ضجة في كثير من أنحاء العالم الإسلامي (الفتوى الترنسفالية ، فتوى إباحة صناديق التوفير..).

وليس ثمة شك في أن "مصر الحديثة" التي يريدها كرومر هي دولة لا دينية لا صلة بها بالإسلام وحكومتها ستكون على الشرط الذي مر آنفًا (متفرنجة)، أما محمد عبده فلم تكن لديه - كما يبدو - صورة واضحة، وإنما كان يهدف إلى الإصلاح الذي ينشده في ظل الاحتلال الإنجليزي. ولهذا فإن التعاون بين كرومر والشيخ محمد عبده يعني تقديم تنازلات من الأخير للأول، أما العدو المشترك لهما

---

(١) المصدر السابق: ١/ ٢٦١.

(٢) لعل هذا هو أقرب ما يصح أن يوصف بها الشيخ من الانتماءات المذهبية وإن كان في الواقع له اتجاه مستقل أحيانًا"، وتظهر اعتزاليته أو عقلانيته في تأويلاته المشهورة للملائكة والجن والطير الأبابيل وخلق آدم ... إلخ. وربما كانت هذه التأويلات هي التي دفعت كرومر إلى قوله "أشك في أن صديقي عبده ... كان في الحقيقة لا ادريا" نقلها عنه جب، ص ٩٩، دراسات في حضارة الإسلام.

فهم العلماء "غير الأحرار" الذين كانوا - رغم ما فيهم - ينفرون من الاحتلال والعمل معه في أية صورة !

وابتدأ محمد عبده عمله الإصلاحي بمهاجمة الأزهر ونقد المحاكم ونقد الحياة الاجتماعية وكرومر من ورائه يقطف الثمار.

لقد كانت بريطانيا - كعادتها - عازمة على إلغاء الشريعة الإسلامية فور تمكنها في البلاد، غير أن كرومر رأى أن أفضل وسيلة لذلك هو (بيدي لا بيد عمرو) بمعنى تفريغ المحاكم الشرعية من محتواها بأن يتولاها علماء "ذوو طابع تحرري" تتم تربيتهم بإشرافه هو والشيخ محمد عبده في معهد خاص لقضاة الشرع، وتم إنشاء كلية في سراجيفو حكومة النمسا والمجر[1] لتخريج قضاة الشرع المسلمين المتمدنين، والتي يقول عنها أنها "كلية أثبتت نجاحها من كل الوجوه" ويتحدث عن ذلك في تقريره السنوي لحكومته عام ١٩٠٥م:

"... وقد وضعت هذه المعلومات تحت تصرف لجنة ذات كفاية ممتازة يرأسها المفتي الأكبر السابق (محمد عبده) بقصد وضع خطة مشابهة تلائم ظروف مصر وحاجاتها، وقد أتمت اللجنة عملها في شهر يونيه السابق ووضعت النظم المقترحة تحت تصرف الحكومة، وهذه النظم تزود الطالب ببرامج ثقافية ذات طابع تحرري غربي لا تحصر الطالب في الدراسات الدينية الخاصة"[2].

والعجيب حقًّا أن محمد عبده لم يكن حرجًا من اقتباس القوانين التشريعية الغربية، ما دام ذلك يحقق (الإصلاح في نظره) بل يقول العقاد (وهو من المعجبين جدًّا بالشيخ محمد عبده) "إن الشيخ علم أن المراجع العربية لهذه القوانين لا تساعده

(١) انظر كيف اتفق المخطط الصليبي هنا وهناك، و"الكفر ملة واحدة".

(٢) الفكر الإسلامي دراسة وتقويم، غازي التوبة: ٣٠.

على فهم تلك المبادئ الغربية فشرع في تعلم اللغة الفرنسية"[1]. كما أن إعجابه بالثقافة الغربية هو الذي جعله يبالغ في انتقاص الأزهر واطلق عليه لفظ "الإصطبل أو المارستان أو المخروب" ولذا يحاول إصلاحه وإصلاح التعليم كله على الطريقة الغربية ويقول:

"إن كان لي حظ من العلم الصحيح، فإنني لم أحصله إلا بعد أن مكثت عشر سنين أكنس من دماغي ما علق فيه من وساخة الأزهر" وهو إلى الآن لم يبلغ ما أريد له من النظافة"(٣٦)[2].

إن الأزهر وإن كان محتاج في هذه الفترة إلى إصلاح فإن هذا الإصلاح كان لا بد أن يكون على الطريقة الإسلامية وليست على الطريقة الكرومرية الإنجليزية.

وكان من أعظم خطط الإنجليز للقضاء على الشريعة الإسلامية إنشاء "مجلس شورى القوانين" الذي كانوا يحكمون مصر من خلاله، والذي قدم الشيخ له خدمات جليلة مما دفع المستشار القضائي الإنجليزي إلى رثاء الشيخ محمد عبده (في تقريره عن المحاكم لعام ١٩٠٥م) قائلًا:

"ولا يسعني أن أختم ملاحظاتي على سير المحاكم الشرعية في العام الماضي بغير أن أتكلم عن وفاة مفتي الديار المصرية الجليل المرحوم الشيخ محمد عبده في شهر يوليه الفائت، وأن أبدي أسفي الشديد على الخسارة التي أصابت هذه النظارة بفقده ..."

إلى أن قال:

"وفوق ذلك، فقد قام لنا بخدمة جزيلة لا تقدر بثمن: في مجلس شورى

(١) "محمد عبده" سلسلة أعلام العرب: ١٠٩.

(٢) الفكر الإسلامي الحديث، غازي التوبة: ٢٧.

القوانين في معظم ما أحدثناه أخيرًا من الإصلاحات المتعلقة بالمواد الجنائية وغيرها من الإصلاحات القضائية؛ إذ كان يشرح للمجلس آراء النظارة ونياتها ويناضل عنها ويبحث عن حل يرضي الفريقين كلما اقتضى الحال ذلك (!) وإنه ليصعب تعويض ما خسرناه بموته؛ نظرًا لسمو مداركه، وسعة إطلاعه، وميله لكل ضروب الإصلاح والخبرة الخصوصية التي اكتسبها أثناء توظفه في محكمة الاستئناف وسياحاته إلى مدن أوروبا (!) ومعاهد العلم ..."[1].

وقد يكون أخطر آثار محمد عبده التي تعد ركيزة من ركائز العلمانية في العالم الإسلامي إضعاف مفهوم "الولاء و البراء، ودار الحرب ودار الإسلام" إذ كان الشيخ أعظم من اجترأ عليه من علماء عصره، لا بتعاونه مع الحكومة الإنجليزية الكافرة فحسب، ولكن بدعوته الصريحة إلى موالاة الإنجليز وغيرهم؛ بحجة أن التعاون مع الكفار ليس محرمًا من كل وجه، ودعوته إلى التقريب بين الأديان.

حقيقة أن الرأي العام الإسلامي قد ثار على بعض فتاوى الشيخ التي أباح بها موالاة الكفار ولكن تأثيرها في الأمة لا شك فيه، لا سيما في تلك الفترة الحرجة التي تتميز بغبش الرؤية واختلاط المفاهيم.

ويليها في الخطورة فتواه حول إباحة الربا بطريق صناديق التوفير معتمدًا - كما يرى العقاد - على مفهوم الآية من أنه لا يحرم من الربا إلا الأضعاف المضاعفة! (اللهم إني أسالك إلا أقول في القرآن برآئي لكيلا أضل نفسي ولا غيري يا أرحم الراحمين).

وأخيرًا فإن الشيخ (بقصد أو بدون قصد) قد أوجد القاعدة التي ارتكز عليها

(١) الفكر الإسلامي ... : ٢٥.

من يطلقون على أنفسهم دعاة الإصلاح[1] وكانت حجة لهم للتعلق بأذيال الغرب وإقصاء الإسلام عن توجيه الحياة، إذ ظلوا ينقضون عري الإسلام عروة عروة حتى أن المعركة الآن أصبحت تدور ضد قانون الأحوال الشخصية، وهو البقية الضئيلة من آثار الشريعة الإسلامية والميزة الاجتماعية التي تميز المسلم من غيره.

لم يكن محمد عبده علمانيًّا ولكن مبادئه كانت تمثل بلا شك اتصالًا بين العلمانية الأوروبية والعالم الإسلامي بدون قصد منه، ولذلك فقد وجدها المخطط اليهودي الصليبي فرصة له واتخذها جسرًا عبر عليه إلى علمانية التعليم والتوجيه في العالم الإسلامي، وتنحية الدين عن الحياة الاجتماعية، بالإضافة إلى إبطال العمل بالشريعة والتحاكم إلى القوانين الجاهلية المستوردة، واستيراد النظريات الاجتماعية الغربية، وهو ما تم جميعه تحت ستار "الإصلاح" أيضًا[2].

أما الجماهير الإسلامية فقد اتخذت أفكار الشيخ الإصلاحية مبررًا نفسيًّا لتقبلها للتغيير العلماني المتدرج في الدول العربية.

وقد صور محمد المويلحي في عمله الرائع "حديث عيسى بن هشام" شيئًا من ذلك على لسان أبطال الرواية، إذ يسأل أحدهم متعجبًا "كيف ساغ للمصريين أن يأخذوا بقانون نابليون المخالف للشريعة؟ فيجيب الآخر بأن المفتي أقسم بالله أنه موافق للشريعة"[3].

(١) من الإنصاف أن نذكر أن الشيخ ندم على طريقته فى الإصلاح مفضلًا عليها تطبيق التربية الفردية، انظر كتاب العقاد والإسلام في القرن العشرين: ١٤٧.

(٢) انظر حول آثار الفكر الإصلاحي: غازي التوبة: ٥٤ والاتجاهات الوطنية: ١/ ٣٥٥ وأساليب الغزو الفكري: ٢٠١-٢٠٥. وقول جب عنه (كان تلاميذه الحقيقيون من صفوف العلمانيين) دراسات في حضارة الإسلام: ٣٣٠.

(٣) انظر ج١ ص: ٧٢-٧٣.

هذا وقد عاصر محمد عبده رجل آخر من دعاة الإصلاح أيضًا هو عبد الرحمن الكواكبي (ت١٩٠٢م) يحق لنا أن نقول أنه أول من نادى بفكرة العلمانية حسب مفهومها الأوروبي الصريح فهو يقول:

"دعونا ندبر حياتنا ونجعل الأديان تحكم الآخرة فقط، دعونا نجتمع على كلمات سواء، ألا وهي فلتحيا الأمة، فليحيا الوطن، فلنحيا طلقاء أعـزاء"[١].

واتبع هذين (الشيخ محمد عبده والكواكبي) عدد من الكتاب والصحفيين المشبوهين من أدعياء الإسلام وغيرهم، يطالبون بضرورة فصل الدين عن السياسة وإبعاده عن واقع الحياة وأن ذلك هو الحل الوحيد لمشاكل الشرق، وكان لسموم المستشرقين ودسائس المبشرين أعظم الأثر في ذلك.

وقد هوجمت الشريعة الإسلامية بكاملها وتوالت حملات التشكيك فيها معلنة عدم ملائمة الشريعة لمقتضيات العصر وظروف التطور، ومن أبرز الموضوعات التي هوجمت:

١-**الجانب الاقتصادي**: فقد حرص المغرضون على تضخيم فتوى محمد عبده (إن التعامل في البنوك حلال) ليبتروا هذا الجانب بكامله عن الشريعة، ومن استخدموا لذلك (حفني ناصف) الذي قال "إن الربا بفائدة ليس من أنواع الربا المحرم، وأن سبب تخلف مصر هو عدم فتح بنوك على الطريقة الغربية"[٢] ثم تلاه من تلاه حتى استصدرت فتوى من أحد شيوخ الأزهر البارزين بإباحته، ولا يزال هذا هو رأي من يسمون أصحاب الاتجاه العصري[٣].

(١) طبائع الاستبداد: ١١٢ - ١١٣.

(٢) انظر حفني ناصف تأليف محمود غنيم سلسلة أعلام العرب: ١٦١.

(٣) انظر مجلة الدعوة المصرية عددي محرم وصفر سنة ١٣٩٩هـ.

وقد تم عمليًّا عزل الشريعة عن هذا المجال المهم منذ زمن بعيد إلا أن المغرضين ما يزالون حريصين على اختلاق ما يبرره ويؤكده، ولا تحسبن الله غافلًا عما يعمل الظالمون.

٢-**الجانب الاجتماعي**: إذ كانت أفكار محمد عبده - أيضًا - سببًا قويًّا للهجوم على موقف الشريعة من المرأة. لقد أتم المستعمرون - عمليًّا - إقصاء الشريعة، وزرعوا الأحزاب السياسية المتباينة التي تتفق جميعها في عدم رفع شعار الإسلام أو الدعوة إلى تحكيمه.

وعقب إلغاء مصطفى كمال للخلافة سنة ١٣٤٣هـ، وبينما كان الرأي العام في العالم الإسلامي مأخوذًا بهول الصدمة طلع رجل أزهري بفكرة غريبة مريبة يقول عنها المستشرق "شمتز"[١] إن هذه الفكرة كان لها الفضل في تخفيف وطأة المفاجأة مما فعله أتاتورك على مشاعر المسلمين، ذلك الرجل هو (علي عبد الرازق) صاحب كتاب "الإسلام وأصول الحكم" !

جمع عبد الرازق في كتابه بين أسلوب المستشرقين في تحوير الفكرة واقتطاع النصوص وتلفيق الواهيات، وبين طريقة الباطنية في التأويل البعيد، وسرد نبذًا من سير الطواغيت ونتفًا من أقوال متملقيهم، وعمد إلى مغالطات عجيبة؛ كل ذلك ليدلل على أن الإسلام كالمسيحية المحرفة علاقة روحية بين العبد وربه لا صلة لها بواقع الحياة.

ولم ينسى "الشيخ" أن يدلنا على أحد مراجعه الرئيسية لنستكمل ما قد يكون فضيلته عجز عن بيانه، فهو يقول في الكتاب نفسه:

(١) الإسلام قوة الغد العالمية: ١٦٠ مع مراعاة أنه لم يذكر الكتاب صراحة بل قال "فتوى من الأزهر".

"وإذ أردت مزيدًا في البحث فارجع إلى "كتاب الخلافة" للعلامة (السير تومس آرنلد) ففي الباب الثاني والثالث منه بيان ممتع ومقنع"[1] (على حد قوله) ثم يقول:

"تكلم عيسى ابن مريم عليه السلام عن حكومة القياصرة وأمر بأن يعطي ما لقيصر لقيصر..." "وكان ما جرى في أحاديث النبي ﷺ من ذكر الإمامة والخلافة والبيعة.. إلخ لا يدل على شيء أكثر مما يدل عليه المسيح حينما ذكر بعض الأحكام الشرعية عن حكومة قيصر"[2].

ويقول:

"إن أرادوا بالإمامة والخلافة ذلك الذي يريده علماء السياسة بالحكومات بمعنى أن الحكومة تكون في أي صورة ومن أي نوع، مطلقة أو مقيدة، فردية أو جمهورية استبدادية أو دستورية أو شورية ، ديمقراطية أو اشتراكية أو بلشفية فلا بأس بذلك، أما إن أرادوا بالخلافة ذلك النوع الخاص من الحكم (يعني الحكم الإسلامي!) فدليلهم أقصر من دعواهم وحجتهم غير ناهضة"[3]. هذا عقل البشر. يا إخواني انظروا إلى ماذا أوصله أوصله إلى الاعتراض على شريعة خالقه، أوصله إلى الاعتراض على شريعة من يرزقه، ومن يستطيع أن يقبض روحه في أي لحظة شاء. أن هذا العقل يا إخواني هو الذي أوصل كبار العلماء النووين في الهند إلى السجود للبقرة، بل أوصل رئيسها إلى التبرك بروث البقر هذا هو العقل البشري إذا أطلق لنفسه العنان فإنه سيحرق نفسه بنفسه.

---

(١) الإسلام وأصول الحكم: ٤١ المطبوع مع نقد وتعليق ممدوح حقي.

(٢) المصدر السابق: ٤٥.

(٣) المصدر السابق: ٨٣.

وللأسف أن هذا الكتاب كان له آثار بعيدة؛ فقد ترجم إلى اللغات الأجنبية وأصبح مرجعًا معتمدًا للدراسات الإسلامية هناك، وقام بتقريظه والثناء عليه كل المهتمين بهذه الدراسات في الغرب، وظهرت آثاره في كتاباتهم[1] وهلل له سماسرة الاستعمار من الكتاب والصحفيين باعتبار مؤلفه عالمًا متحررًا متنورًا، ووضعه البعض على رأس مرحلة فكرية عصرية ... إلخ.

ووجدت الأحزاب السياسية فيه ضالتها المنشودة. فلم تعد تجد أي إحراج من إعلان انتمائها للاتجاهات السياسية اللادينية شرقيها وغربيها، وبراءتها من الدين والمتدينين. أما الكتب التي ألفت في الرد عليه فقد حاصرتها الدوائر الاستعمارية وأهملتها وسائل الإعلام حتى لم يكد يظهر لها صدى ألا عند غير القلة المخلصة.

وفي الفترة التي أعقبت إلغاء الخلافة كانت معظم أجزاء العالم الإسلامي خاضعة للاستعمار، وكانت مخططاته الماكرة تنفذ بدقة وعناية، وكانت الحركات الإسلامية في كل بلد تسعى للخلاص من براثنه هادفة إلى بعث إسلامي جديد، لكن الاستعمار والأحزاب السياسية غير الإسلامية كانت إلى عكس ما تهدف إليه تلك الحركات. وبينما كانت مصر مؤهلة لقيادة العالم الإسلامي من جديد وكان الاستعمار يلم شعثه لمغادرتها ثارت زوبعة حول صلة الإسلام بالحكم تزعمها كتاب وأدباء نصارى أمثال سلامة موسى ولويس عوض وأناس آخرون للأسف من المسلمين من بين هؤلاء (خالد محمد خالد) الذي كتب كتابه "من هنا نبدأ" هادفًا إلى ما قصده علي عبد الرازق من قبل، ولكن بأسلوب أذكى وأحدث[2].

ومن قبله كان (الشيخ عبد المتعال الصعيدي) يحاول هدم حدود الشريعة

(١) انظر مثلًا: ما كتبه جب عن الخلافة في كتابه: دراسات في حضارة الإسلام.

(٢) انظر رد الشيخ الغزالي عليه في كتابه: من هنا نعلم.

الإسلامية المستقرة في الكتاب والسنة زاعمًا "أن الأمر بها للندب لا للوجوب، وأن الأمر لا يقتضي التكرار الدائم إلى آخر هذا اللغو المتهافت"[1].

ثم ظهرت أفكار كثيرة تبرز انتهاج الطوائف الغربية في الحكم والعمل بالقوانين الجاهلية، وأسهمت وسائل الإعلام - لا سيما الصحافة - في نشر وتعميم تلك الأفكار حتى أصبحت الشريعة غريبة في وطنها وضاع صوت المكافحين عنها عن تعمد، بل أصبحت - في نظر الغالبية العظمى - رمزًا للرجعية والتأخر[2].

ولا شك واقعنا المشاهد اليوم لهو خير دليل على ما بلغته العلمانية من التغلغل في الحياة الإسلامية، فعلى الرغم من فشل التجارب الديمقراطية وإخفاق المحاولات الاشتراكية فإن الرقعة الإسلامية العريضة ما تزال تتخبط وتضطرب بين شعارات وأنظمة ومناهج الغرب اللادينية، أما الشريعة الإسلامية فقد غابت لا من الواقع فحسب بل من الشعور والوجدان على النحو الذي صوره "جب" بدقة إذ يقول:

"إن التعليم عن طريق المدارس العصرية والصحافة قد ترك في المسلمين من غير وعي منهم أثرًا جعلهم يبدون في مظهرهم العام علمانيين إلى حد بعيد، وذلك هو اللب المثمر في كل ما تركته محاولات الغرب من أجل حمل العالم الإسلامي على حضارته. فالواقع أن الإسلام كعقيدة لم يفقد إلا قليلًا من قوته وسلطانه، ولكن الإسلام كقوة مسيطرة على الحياة الاجتماعية فقد مكانته، فهناك مؤثرات أخرى تعمل إلى جانبه، وهي في كثير من الأحيان تتعارض مع تقاليده، وتعاليمه تعارضًا صريحًا ولكنها تشق طريقها إلى المجتمع الإسلامي في قوة وعزم مثل السرطان.

"فإلى عهد قريب لم يكن للمسلم اتجاه سياسي (يخالف الإسلام) ولا أدب

(١) من هنا نعلم: ١٣.

(٢) انظر ما كتبه مصطفى أمين في أخبار اليوم تاريخ ٢٧ / ٨ / ١٣٩٧هـ.

غير الأدب الديني، ولا أعياد إلا الأعياد الدينية، ولم يكن ينظر إلى العالم الخارجي إلا بمنظار الدين وكان الدين هو كل شيء بالقياس إليه "أما الآن فقد أخذ يمد بصره إلى ما وراء عالمه المحدود، وصار يقرأ مقالات في مواضيع مختلفة الألوان لا صلة لها بالدين، بل أن وجهة نظر الدين فيها لا تناقش على الإطلاق، وأصبح الرجل من عامة المسلمين يرى أن الشريعة الإسلامية لم تعد هي الفيصل فيما يعرض له من المشاكل، ولكنه مرتبط في المجتمع الذي يحيا فيه بقوانين مدنية وضعية لا يعرف أصولها ومصادرها، ولكنه يعرف – على كل حال – أنها ليست مأخوذة من القرآن.

وبذلك فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية، وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئًا فشيئًا حتى انحصرت في طقوس محدودة، وقد تم معظم هذا التطور تدريجيًّا عن غير وعي وانتباه، وكان الذين أدركوا هذا التطور قلة ضئيلة من المثقفين، وكان الذين ساروا فيه عن وعي وتابعوا طريقهم فيه عن اقتناع قلة أقل، وقد مضى هذا التطور إلى مدى بعيد، ولم يعد من الممكن الرجوع فيه، وقد يبدو الآن من المستحيل مع تزايد الحاجة إلى التعليم ومع تزايد الاقتباس من الغرب أن يُصدّ هذا التيار أو تعود إلى الإسلام مكانته الأولى من السيطرة التامة التي لا تناقش على الحياة السياسية والاجتماعية".

وينتهي "جب" إلى القول: أن العالم الإسلامي سيصبح خلال فترة قصيرة جدًّا علمانيًّا في كل مظاهر حياته"[1].

ويقول في موضع آخر:

(١) عن مذكرة المذاهب الفكرية للسنة الرابعة بكلية الشريعة – الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – علمًا: بأنني لم أعثر على النص فى الترجمة المتداولة لكتاب وجهة الإسلام، لكن تأكد لدي بإيراد الدكتور محمد محمد حسين له مع اختلاف ضئيل، انظر الاتجاهات الوطنية ٢/ ٢١٨ – ٢٢٠.

"... وكان طبيعيًّا أن يبقى الإسلام، وقد يكون الدين الرسمي للدولة، ولكنه سلب الحقوق التشريعية، ونزل إلى مكانة الديانة المسيحية في الدول الأوروبية"[1]. هيهات هيهات لما توعدون يا أخ جب إنه الإسلام وإنها لشريعة الله خالقك وخالق كل شيء وسيعلم الذين كفروا أي منقلب ينقلبون. احلموا ومن حقكم أن تحلموا، ولكن ياويلكم لأن أحلامكم قد تخطت الخط الأحمر وهو محاربة الله في شريعته. نعم المسلمون ضعفاء وأضعفوا أنفسهم وأذلوا أنفسهم ولكني أقول لكم: "للبيت رب يحميه، للبيت رب يحميه يا أصحاب فيل القرن الواحد والعشرين".

حكم العلمانية في الإسلام:

إن العلمانية كما عرضناها لا تستدعي - في حقيقة الأمر - جهدًا كبيرًا لبيان تناقضها مع دين الله تعالى "الإسلام" فهي من ذلك النوع من الاتجاهات والأفكار التي قال عنها علماؤنا قديمًا "إن تصوره وحده كاف في الرد عليه" !

و نظرًا لما يثيره أعداء الإسلام - الظاهرون والمستترون - من شبهات وأباطيل، فإن من الضروري توضيح تلك التصورات، وكشف هذه الشبهات.

وإذا كان التوحيد هو أعظم حقيقة في التصور الإسلامي - بل في الوجود كله - فإنه كذلك أكبر نقيض وأكبر عدو للعلمانية، ومن ثم كان لا بد من معرفته حق المعرفة.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

إننا إذا نظرنا إلى العرب في الجاهلية فإننا من أول وهلة نجد أنها لم تكن تنكر وجود

(١) وجهة الإسلام: ٥١، ويستحسن الاطلاع على ما كتبه جان مينو في القوى "الخفية": ١٤٢.

الله أبدًا، بل كانت توحده في معظم أفعاله تعالى كالخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة... والشواهد على ذلك كثيرة في القرآن الكريم كقوله تعالى:﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ (لقمان: ٢٥) (وكانوا يقرون بمشيئة الله النافذة في الكون وقدره الذي لا يرد: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ (الأنعام: ١٤٨)، ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ (يونس: ٣١).

ومنه قول عنترة:

يا عبل أين من المنية مهربي إن كان ربي في السماء قضاها(١)

وكانوا يؤمنون بالملائكة ﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾(الفرقان: ٢١)، ويؤمنون كذلك بالرسل ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾(الأنعام: ١٢٤) وكانوا يؤمنون بالكتب ويسمون اليهود والنصارى أهل الكتاب (وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) ٢٥/ ٣٢؛ أي مثل التوراة والإنجيل.

وكذلك كان لدى الجاهلين العرب بعض الشعائر التعبدية: منها تعظيم البيت الحرام وطوافهم حوله، ووقوفهم بعرفات، وتعظيم الأشهر الحرم. ومن ذلك ذبحهم ونذرهم لله كما فى قصة نذر عبد المطلب، وإهدائهم للبيت الحرام. وكانوا يخصصون شيء فى الحرث والأنعام لله ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ (الأنعام: ١٣٦).

ومن الناحية التشريعية كانت الجاهلية العربية تقيم بعض الحدود كحد السرقة، فقد ذكر ابن الكلبي والقرطبي في تفسيره أن قريشًا كانت تقطع يد السارق[1]. وهو

(١) أضواء البيان الشنقيطية: ٣-٣٩٢.

حد معروف في الشرائع السابقة كما فى حديث المخزومية وشفاعة زيد لها - وشيء آخر سبقت، بل فاقت به الجاهلية العربية الجاهليات اللادينية المعاصرة وهو "حرية التدين" فكان منهم الحنفاء الذين يتعبدون ببقايا دين إبراهيم عليه السلام وكان منهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكان منهم عبدة الكواكب وعباد الأوثان، وبعضهم كان يعبد الجن أو الملائكة. إذا هذا مجتمع يعرف أن له ربًّا ويؤمن به ولكن في نفس الوقت هو حر في قوانينه وعبادة الأصنام مع الله أو عبادة النار ويضع التشريع الخاص به وينظم به حياته من وجهة نظره يعني نموذجًا كلاسيكيًّا للعلمانية.

ولكن - وهذا هو المهم - بماذا حكم الله على هذا المجتمع؟، وكيف احتسبت هذه الأمور كلها في ميزان الإسلام؟

إن الله تعالى حكم على هذه البيئة بأنها كفر وجاهلية وعد تلك الأمور جميعها صفرًا في ميزان الإسلام وحتى ما أقر من معتقداتها أقره على أساس جديد وفي صورة جديدة كأنه شرع جديد.

ولذلك نشبت المعركة الطويلة بينهم وبين رسول الله ﷺ واشتد النزاع، معركة شرسة ونزاع حاد، حتى أن السيف كان الحكم الأخير. بالرغم أنهم يصدقون بوجود إله في السماء ولكنهم لا يريدون تشريع سماوي من عند هذا الإله.

والشيء المثير - أيضًا - أن موضوع هذه المعركة العنيفة الطويلة لم يكن سوى كلمة واحدة هي كلمة "لا إله إلا الله" بصدق كلمة يصر عليها رسول الله ﷺ إلى أقصى حدود الإصرار وترفضها الجاهلية العربية إلى أبعد مدى للإنكار، ويرفضونها لأنهم على علم ويقين بأن لها معنى عظيماً خطرًا وأنها تستتبع مسؤوليات جسيمة وتكاليف ثقيلة.

منذ اللحظة الأولى حين دعاهم النبي ﷺ إلى لا إله إلا الله كان الجواب الفوري "اجعل الألهه إلهًا واحدًا، أن هذا لشيء عجاب" فالقضية واضحة في أذهانهم: إن الإيمان بكلمة لا إله إلا الله معناه الترك والبعد الكامل عن كل ما عدا الله من معبوداتهم وتشريعهم لأنفسهم، ونورد موقفًا واحدًا من مواقف الصراع حول هذه الكلمة:

"لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله ﷺ وكان موجود أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية فقالوا: يا أبا طالب: أترغب عن ملة عبد المطلب؟! فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب أخر ما قاله: هو على ملة عبد المطلب...[1].

سبحان الله! رجل فى ساعة الاحتضار الأخير يراد منه أن يقول هذه الكلمة الخفيفة على اللسان فما الذي يجعل طواغيت قريش تتشبث بهذا الإصرار المستميت على ألا يقولها؟ وما الذي يجعل هذا الرجل يلفظ أنفاسه الأخيرة دون أن ينطقها؟ ولو كانت المسألة مسألة لفظ باللسان (كما يعتقد العلمانييون الآن أن الإسلام مجرد الشهادة) لما حدث شيء من هذا أبدًا ... ولكنه المعنى الخطير لقوة كلمة لا إله إلا الله وقوة الشريعة الإسلامية والمغزى العميق الذي أدركه هؤلاء المشركين (هم كانوا علمانيين صادقين مع أنفسهم يعلمون معنى وثقل كلمة لا إله إلا الله فلم ينطقوها. أما الآن فالعلمانييون لا بأس عندهم أن يقولوا أي شيء يخدم مصلحتهم فخرجوا من دائرة المشركين ودخلوا في دائرة المنافقين) يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (النحل: ٣٦)، فما معنى الطاغوت والعبادة؟ فالقلب لا يسكنه إلهين اثنين فإما الله وإما الطاغوت. فما هو الطاغوت؟؟؟

(١) صحيح مسلم ١ / ٢١٤ مع شرح النووي.

الطاغوت:

جاءت هذه الكلمة فى القرآن والسنة كثيرًا، وخير تعريف لها ما ذكره الإمام ابن القيم (رحمه الله): (الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع. فطاغوت: كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله)[1].

ومن هذا يتبين أن الطاغوت لفظ عام يشمل كل ما يضاد (لا إله إلا الله) سواء كان شعارًا أم قانونًا أم نظامًا أم شخصًا أم راية أم حزبًا أم فكرة ... إلخ، ولذلك ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) أن الطواغيت كثيرة ثم حدد رؤوسهم بخمسة:

الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (يس: ٦٠).

الثاني: الحاكم الجائر المغير لأحكام الله، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ (النساء: ٦٠).

الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤).

الرابع: الذي يدعي علم الغيب من دون الله.

(١) أعلام الموقعين: ٥٢.

الخامس: الذي يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة ...[1].

وعلى هذا، فإن الشرك هو عبادة الطاغوت مع الله أو من دون الله في أمرين متلازمين: هما اللجوء إليه والطاعة له. أما شرك اللجوء إلى غير الله فهو التوجه إلى غير الله تعالى بشيء من شعائر التعبد، كالصلاة، والقرابين، والنذور، والدعاء، والاستغاثة تبعًا للسذاجة الجاهلية القائلة: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ (الزمر: ٣) وطاغوت هذا النوع هو الصنم أو الوثن أو الجني ... إلخ.

وأما شرك الطاعة والاتباع فهو التمرد على شرع الله وعدم تحكيمه فى شئون الحياة بعضها أو كلها، وهو مفترق الطريق بين الإسلام والجاهلية كما أنه السمة المشتركة بين الجاهليات كلها على مدار التاريخ، وبه استحقت أن تسمى بالجاهلية مهما بلغ شأنها في الحضارة والمعرفة: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ (المائدة: ٥٠)، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ (الشورى: ٢١) وطاغوت هذا النوع هو طاغوت هذا العصر، وهم الزعماء والكهان والكبراء والأنظمة والأوضاع والتقاليد والأعراف والقوانين والدساتير والأهواء ... إلخ.

والواقع أن هذين النوعين من الشرك هدفهما واحد وهو تحكيم غير الله، فإن معنى تحكيمه وحده ألا تتوجه البشرية إلى غيره بأي نوع من أنواع العبادة والقربات وألا تتوجه وتسير فى حياتها كلها إلا وفق ما شرع لها في كتبه وعلى لسان رسله. وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٤٠).

فإن رد الأمر كله إلى الله واتخاذه وحده حكمًا في كل شيء هو بعينه العبادة التي أمر الله ألا يكون شيء منها لغيره تعالى وهذا هو عين الدين القيم الذي لا يرضى

(١) مجمع التوحيد:١٢.

الله تعالى سواه. ومن أجل ذلك، كان من يقول هذه الكلمة (لا إله إلا الله) على عهد الرسول ﷺ ينخلع عن الجاهلية انخلاعًا تامًّا وينسلخ من كل أعرافها وأوضاعها وقيمها وموازينها وإيحاءاتها وينضم إلى موكب الإيمان وهو متجرد لله منقاد لأوامره بلا تردد ولا استثناء ...وبالطبع فإن هذه الكلمة تساوي التطبيق الكامل للشريعة الإسلامية الآن وهذا ما يخيف الجاهليون الآن تمامًا بتمام مثل أي جاهلية سابقة.

العبادة:

العبادة هي العلاقة بين هذا الكون بكل ما فيه من جمادات وأحياء وبين الخالق – سبحانه وتعالى – وهي الغاية من الوجود الإنساني بل من وجود المخلوقين المكلفين إنسا وجنا، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦).

وقد عرفها شيخ الإسلام ابن تيميه – رحمه الله – وهي أنها «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة».

وقال ابن القيم – رحمه الله –: «ورحي العبودية منقسمة على القلب واللسان والجوارح ومستحب وحرام ومكروه ومباح» (١).

ومن ثم يتجلى أن معنى العبادة (التي هي غاية الوجود الإنساني أو التي هي وظيفة الإنسان الأولى في الدنيا) أوسع وأشمل من مجرد الشعائر، وإن وظيفة الخلافة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠) داخلة في مدلول العبادة قطعًا وإن حقيقة العبادة تتمثل إذن في أمرين رئيسيين:

الأول: هو استقرار معنى العبودية لله في النفس؛ أي استقرار الشعور على أن هناك عبدًا وربًّا، عبدًا يعبد وربًّا معبود، وأنه ليس في هذا الوجود إلا عابد ومعبود،

(١) مدارج السالكين: ١/ ١٠٩.

وإلا رب واحد والكل له عبيد.

والثاني: هو التوجه إلى الله بكل حركة في الضمير، وبكل حركة في أعضاء الإنسان وكل حركة في التوجه بها إلى الله خالصة، والتجرد من كل شعور آخر، ومن كل معنى غير معنى التعبد لله[1].

وهذه المعاني دل عليها صريح القرآن كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأنعام: ١٦٢).

إن فطرة الإنسان وطبيعة تكوينه وافتقاره الذاتي قاطعة الدلالة على أنه "عبد" ولا يمكن أن يكون غير ذلك، وما عليه إلا أن يختار معبوده؛ فإما من أهل اليمين وإما من أهل الشمال.

وقد أثبت شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة العبودية "أن الإنسان على مفترق طريقين لا ثالث لهما، فإما أن يختار العبودية لله، وإما أن يرفض هذه العبودية فيقع لا محالة في عبوديته لغير الله"[2].

وكل عبودية لغير الله كبرت أم صغرت هي في نهايتها عبادة للشيطان ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (يس: ٦٠ - ٦١)، وهذا هو المؤدى الأخير مهما تنوعت الأساليب وتعددت السبل.

"لقد تغيرت ولا شك بعض مظاهر العبادة فلم يعد هناك تلك (الإناث) وهي الملائكة التي كان العرب في شركهم يعبدونها، ولكن عبادة الشيطان ذاتها لم

(١) المجلد السابع ج٢٧، ص ٢٨.

(٢) مقدمة رسالة العبودية: ٦.

تتغير، وحلت محل الإناث القديمة أوثان أخرى. الدولة والزعيم والمذهب والحزب والعلم والتقدم والإنتاج والتطور والمجتمع والوطن والقومية والإنسانية والعقلانية (والمودة) والجنس والحرية الشخصية (أحدث الموضات)".

"عشرات من الإناث الجديدة غير تلك الإناث الساذجة البسيطة التي كان يعبدها العرب في الجاهلية تضفي عليها القداسات الزائفة، وتعبد من دون الله، ويطاع أمرها في مخالفة الله وفي تغيير خلق الله، ما تغيرت إلا مظاهر العبادة، ولكن الجوهر لم يتغير وهو عبادة الشيطان[1].

على ضوء هذا الفهم الإجمالي لمعنى "الطاغوت" و"العبادة" يتضح لنا المعنى الحقيقي للا إله إلا الله الذي هو - كما سبق - الكفر بالطاغوت وتوحيد الله تعالى بالعبادة.

وانطلاقًا من هذا المفهوم نستطيع أن نرى حكم الله في العلمانية بسهولة ووضوح، إنه باختصار: نظام طاغوتي جاهلي يتنافى مع لا إله إلا الله من ناحيتين أساسيتين متلازمتين:

أولًا: من ناحية كونها حكمًا بغير ما أنزل الله.

ثانيًا: من ناحية كونها شركًا في عبادة الله.

أولًا: الحكم بغير ما أنزل الله:

في الكلام السابق عن الطاغوت عرفنًا أنه باختصار الحكم أو الحاكم بغير ما أنزل الله وهنا نريد إيضاح حكم العلمانية بتطبيقها على قاعدة "إن الحكم إلا لله" التي هي مضمون الإسلام: إن العلمانية تعني - بداهةً - الحكم بغير ما أنزل الله، فهذا

(١) دراسات قرآنية: محمد قطب: ٤٦٩.

هو معنى قيام الحياة على غير الدين، ومن ثم فهي نظام جاهلي لا مكان لمعتقده في دائرة الإسلام، بل هو كافر شئنا أم أبينا بنص القرآن الكريم لمن يؤمنون بالنص فقط ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤).

ويقول تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة:٥٠).

ويقول تعالى في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء: ٥٩)، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ (النساء: ٦٠) إلى أن قال - جل ذكره -: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ (النساء:٦٥). أما سورة الأنعام التي يكاد موضوع التشريع والحاكمية يستغرقها كلها فنلحظ ذلك في قوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ (الأنعام:١٤)، وقوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾ (الأنعام:١٦٤).

وفي سورة التوبة يقول تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣١). وكذلك في سورة النور: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ (النور: ٤٧ - ٤٨) إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٥١).

وفي سورة محمد ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ﴾ (محمد: ٢٥ - ٢٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -:

«لا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدل من غير إتباع لما أنزل الله فهو كافر؛ فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل. وقد يروا أن العدل في الدين هو ما رأه الأكابر، بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به من دون الكتاب والسنة، وهذا هو الكفر فإن كثيرًا من الناس أسلموا ولكن لا يحكمون إلا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون والأكابر. فهؤلاء إذا عرفوا أنهم لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا بذلك، بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفارًا»[1].

وقال - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة: ٥٠).

«ينكر الله تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير والناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات التي وضعوها بآرائهم، وكما كان يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم (الياسق) وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة

(١) مجموعة التوحيد، الرسالة الثانية عشرة ٤١٣.

الإسلامية وغيرها وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في أهله شرعًا متبعًا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله قال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ ﴾ أي يبتغون ويريدون وعن حكم الله يبتعدون، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ أي من أعدل من الله في حكمه وذلك عند من عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين، وهو أرحم لخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، العادل في كل شيء».

ثم ذكر – رحمه الله – ما رواه أبو حاتم بسنده عن الحسن البصري قال: «من حكم بغير حكم الله فهو حكم الجاهلية. وبسنده عن طاووس» إنه كان إذا سأله رجل: هل لي أن أفضل بين أولادي في النحل؟ (أي في الهدايا) فقرأ عليه «أفحكم الجاهلية يبغون» مما يدل على حساسية السلف ﷺ المرهفة تجاه الموضوع، وتنفيرهم من إتباع غير شرع الله في أي أمر وإن كان صغيرًا.

وعقَّب ابن كثير على ذلك بذكر الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أبغض الناس إلى الله ﷻ من يبتغي في الإسلام سنة الجاهلية» الحديث[1]، ومراده من ذلك بيان أن الجاهلية صفة تلحق كل من حكم بغير ما أنزل الله وليست فترة تاريخية انتهت بظهور الإسلام.

ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله –:

«... لا يكفي أن يسمى الحاكم بغير ما أنزل الله كافرًا فقط، بل هو كافر مطلقًا: إما كفر عمل وإما كفر اعتقاد».

(١) تفسير القرآن العظيم: ٢/ ٦٧.

ثم قال في تفصيل كفر الاعتقاد: «وكفر الاعتقاد أنواع **أحدهما**: أن يجحد الحاكم: أحقية حكم الله ورسوله، فيحكم بغير ما أنزل الله ... **الثاني**: ألا يجحد الحاكم: حكم الله ورسوله ولكن يعتقد أن حكم (((غير))) الرسول ﷺ أحسن من حكم الرسول وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع؛ نظرًا لما استجد من الحوادث التي نشأت عن التطور في الزمان وتغير الأحوال (من وجهة نظره) وهذا أيضًا لا ريب أنه كفر لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان البشرية وتفضيلها على حكم الحكيم المجيد ... **الثالث**: ألا يعتقد أن حكمه أحسن من حكم الله ورسوله، ولكن اعتقد أن حكمه مساوٍ لحكمهما. فهذا كالنوعين اللذين قبله في كونه كافرًا الكفر الناقل عن الملة ... **الرابع**: أن يعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله، فهذا كالذي قبله ... **الخامس**: وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه ولرسله، وهو إنشاء المحاكم الشرعية التي تستند على مراجع هي القانون الملفق من شرائع شتَّى وقوانين كثيرة ... فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام (إلا من رحم ربي) مهيأة ومفتوحة الأبواب والناس إليها أسراب أسراب يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم الكتاب والسنة، فأي كفر فوق هذا الكفر، وأي مناقضة للشهادة بأن محمدًا رسول الله بعد هذه المناقضة[1].

إن هذا كله ليدل دلالة قاطعة على نفي الإيمان عمن ابتغى غير الله حكمًا في أية قضية من قضايا الحياة والحكم عليه بالكفر والشرك والنفاق؛ لأن هذا هو حكم الله عليهم لا حكم البشر؛ لكي لا يقول أحد أنكم تكفرون الناس بأهوائكم. ارجعوا مرة ثانية إلى آيات سورة المائدة ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤).

(١) تحكم القوانين ٥-٧.

وإذا قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ وهذا الخطاب لمحمد ﷺ وأتباعه، وفي قضية فرعية كانت في الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه، فما بالك فيما هو أكبر من ذلك وهو الشريعة والأحكام الإسلامية، فهل يبقى بعد ذلك مجال للشك أو التردد؟

من الشبهات الكثيرة التي انتشرت في هذا العصر المظلم استصعاب بعض الناس إطلاق لفظ الكفر أو الجاهلية على من أطلقها الله تعالى عليه من الأنظمة والأوضاع والأفراد بذريعة أن هذه الأنظمة – لا سيما العلمانية الديمقراطية – لا تنكر وجود الله، ولا تمانع من إقامة شعائر التعبد. وبعض أفراد الأنظمة العلمانية يتلفظون بالشهادة، ويقيمون الشعائر من صلاة وصيام وحج وصدقة، ويحترمون رجال الدين والمؤسسات الدينية . . . إلخ. فكيف نستسيغ القول بأن العلمانية نظام جاهلي وأن المؤمنين بها جاهليون؟ أقول لهم بداية، ارجعوا صفحات قليلة للوراء لتقرأوا كيف كانت الجاهلية قبل مبعث رسول الله.

ومن الواضح جدًّا أن الذين يتشدقون بهذه الشبهة لا يعرفون معنى لا إله إلا الله ولا مدلول (الإسلام)، وهذا إذا أحسنا الظن بهم، ولكن هذا لا يجوز في حق كثير من المثقفين الذين يتعللون بهذه العلل.

إن تاريخ الدعوة الإسلامية وصراعها المرير، وإن القرآن الكريم كله من أوله إلى آخره ومثله السنة؛ لتقطع الطريق على هذه الشبهة وقائليها.

هل تحمل الرسول ﷺ وأصحابه العنت والمشقة والحرب والجهاد ثلاثًا وعشرين سنة متوالية؟ وهل نزل القرآن الكريم موجهًا وآمرًا وناهيًا طوال هذه السنين من أجل أن يقول الجاهليون باللسان فقط "لا إله إلا الله"، ويقيمون الشعائر التي

يمنون على الله دعاة العلمانية بأنهم يسمحون بها؟

وما الفرق بين قول قريش يا محمد: أعبد آلهتنا سنة ونعبد ألهتكم سنة وبين قول العلمانيين نعبد الله في المسجد ونطيع غيره في المتجر أو البرلمان أو الجامعة؟ويقولون إن داخل المسجد هو لله، أما خارج المسجد فهو للإنسان وحريته الشخصية. إن الله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾(البقرة: ٢٠٨) والسلم هو الإسلام[1].

ويقول: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ ﴾(البقرة: ١٩٣).

ويقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ (النساء: ١٥٠)، وقد سبق أن أوضحنا أن التلفظ بالشهادة ليس وحده المقصود منها، ونزيد ذلك إيضاحًا فنقول:

إن العلماء قد وضعوا – بعد استقراء وتتبع لنصوص الكتاب والسنة – لشهادة أن لا إله إلا الله وللإسلام شروطًا، ووضعوا لها نواقض فمتى انتفى شيء من الشروط أو وجد شيء من النواقض فقد انتقض الأصل وهو الشهادة نفسها، والواقع المشاهد أكبر دليل على ذلك، فكم بين من يتلفظون بالشهادة فى بلاد المسلمين من ملحدين ومرتدين ومشركين معروفين، فلو أن النطق بالشهادة لا شروط له ونواقض لكان هؤلاء مسلمين حتمًا.

وهناك ناقضتان هامتان من نواقض الإسلام العشرة غير الشرك الذي هو التناقض الأكبر، والذي لا شك أن العلمانية نوع منه:

(١) انظر تفسير الطبري: ٢/ ٣٢٣.

الأولى: ((من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه ﷺ، أو أن حكم غير الإسلام أحسن من حكم الإسلام، مثل الذين يفضلون حكم الطواغيت على حكم الإسلام فهذا كافر وخارج عن الملة)). ونحن شرحنا من هم الطواغيت وليس شرطًا أن يكون صنمًا أو وثنًا.

الثانية: ((من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج من شريعة محمد ﷺ مع احتفاظه بكونه مسلم فهو كافر - كما فسروا بالخطأ أن الخضر خرج عن شريعة موسى عليه السلام))[1].

ولعل ما يقطع دابر كل شبهة أن نستشهد بكلام الإثبات من علماء المسلمين السابقين لعصرنا الذين نظروا إلى القضية من وجهة فقهية خالصة:

سُئِل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - عن حكم قتال التتار ((وكانوا يحضرون إلى الشام - بعد أن أسلموا - مرة بعد مرة، وقد تكلموا بالشهادتين، وانتسبوا إلى الإسلام، ولم يبقوا على الكفر الذي كانوا عليه في أول الأمر)) وقبل أن أقرأ الفتوى عليكم يجب أن نتذكر أن قانون التتار هو (الياسق) الذي ذكره ابن كثير سابقًا، وسيشير شيخ الإسلام إليه فيها فأجاب - رحمه الله - بفتوى طويلة قيمة منها:

«كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين وإن تكلمت بالشهادتين».

وكذلك إن امتنعوا عن تحريم الفواحش أو الزنا أو الميسر أو الخمر أو غير ذلك من محرمات الشريعة، وكذلك أن امتنعوا عن الحكم في الدماء والأموال والأعراض ونحوها بحكم الكتاب والسنة، وكذلك أن امتنعوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن

(١) مجموعة التوحيد: ٣٧ - ٣٨ .

المنكر وجهاد الكفار: قال الله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب القتال حتى يكون كله لله، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ وهذه الآية نزلت في أهل الطائف، وكانوا قد أسلموا وصلوا وصاموا لكن كانوا يتعاملون بالربا والربا آخر المحرمات في القرآن: وهو مال يوجد بتراضي المتعاملين؛ فإذا كان من تعامل بالربا محاربًا لله ورسوله فكيف بمن تمادى في غيره من المحرمات التي هي أسبق تحريمًا وأعظم تحريمًا. وما بالك بمن يريد ألا يحكم الشريعة في حياته من الأصل، ثم استشهد - رحمه الله - بالأحداث المتواترة عن النبي ﷺ في الأمر بقتال الخوارج، ووصفه لهم بالمروق من الدين كما يمرق السهم من الرمية مع قوله ﷺ عنهم «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وقراءته مع قراءتهم» واستشهد بإجماع الصحابة ﷺ على قتال مانعي الزكاة مع أنهم يقيمون الصلاة، ويقرون بالشريعة، ولم يمتنعوا عن دفع الزكاة ولكنهم قالوا أن دفعها كان خاصًّا بالنبي ﷺ على ظاهر الآية (خذ من أموالهم صدقة) فكيف بمن خرج على الشريعة من أصلها؟ (وصلاتنا نحن بالنسبة لصلاتهم صفرًا وقرائتنا للقرآن بالنسبة لقرائتهم صفرًا) وذكر- رحمه الله - أن مما يوجب تكفير ملك التتار وقتاله أنه «يرد الناس عما كانوا عليه في اتباع الأنبياء والمرسلين، ويدخلهم فيما ابتدعه من سنته الجاهلية وشريعته الكافرة. فهم يدعون دين الإسلام، ويعظمون دين أولئك الكفار على دين المسلمين، ويطيعونهم ويوالونهم أعظم بكثير من طاعة الله ورسوله وموالاة المؤمنين. والحكم فيما شجر بين أكابرهم بحكم الجاهلية لا بحكم الله ورسوله» - يعني أنهم يتحاكمون إلى (الياسق) (لاحظ يا أخي أن شيخ الإسلام يقول الفتوى، وكأنه يرى واقعنا اليوم ليس لأنه ينزل عليه

الوحي ويبلغه بما سيكون؛ ولكن لأنه استند في فتواه إلى سنة الحبيب وشرع الله – سبحانه وتعالى – ثم قال شيخ الإسلام: «ومعلوم بالضرورة من دين المسلمين وبإتقان جميع المسلمين إن من حلل واستباح اتباع غير دين الإسلام أو اتباع شريعة غير شريعة محمد ﷺ فهو كافر، وهو ككفر من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض».

كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ (النساء: ١٥٠). معنى يفرقون بين الله ورسوله؛ أي يفرقون بين كتاب الله وسنة رسوله.

"وإذا كانت الردة عن أصل الدين أعظم من الكفر بأصل الدين، فالردة عن شرائعه أعظم من خروج الخارج الأصلي عن شرائعه" يعني ردة المسلم أو اعتراضه على جزئية من جزئيات الدين أعظم إجرامًا ممن لم يدخل بالإسلام من البداية وكلاهما أسوأ من الأخر.

أما الشيخ محمد بن عبد الوهاب فاستشهد على هذه المسألة بإجماع العلماء على تكفير العبيديين (لقب أعطاه للفاطميين) المعروفين خطأ بالفاطميين قائلًا:

ويقال أيضًا بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر، وفي زمن بني العباس كلهم يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويدعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه؛ أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين[1].

(١) مجموعة التوحيد: ١١٧ ومثله فى الفاتوى الكبرى: ٤/ ٣٢١.

وبناء على ما سبق، يتضح أن تلك الشبهة – شبهة التلفظ بالشهادة وإقامة بعض الشعائر – لا وزن لها ولا اعتبار بجانب البراهين القاطعة والحقائق النيرة في معنى لا إله إلا الله؛ أي لا قيمة مطلقًا للفظ فقط دون المعنى.

وجدير بنا أن نقف قليلًا عند قول شيخ الإسلام أن الردة عن شرائع الدين أعظم من خروج الخارج الأصلي عنها لنقول: أن هذا هو ما أدركه المخطط اليهودي الصليبي – كما سبق فى وصية زويمر– فقد يئس المخطط من إخراج المسلمين عن أصل دينهم إلى المذاهب الإلحادية والمادية، فلجأ – بعد التفكير والتدبير – إلى ما هو أخبث وأخطر: لجأ إلى اصطناع أنظمة وجماعات تحكم بغير ما أنزل الله وفي الوقت نفسه تنتسب إلى الإسلام وتظهر إحترام العقيدة فقتلوا إحساس الجماهير، وضمنوا ولاءها، وخدروا ضميرها، ثم انطلقوا يهدمون شريعة الله وهم آمنون من انتفاضتها ولذلك لا يجرؤ أرباب هذه الأنظمة على التصريح بأنهم ملحدون أو لا دينيون بينما يصرحون – مفتخرين – بأنهم (ديموقراطيون) مثلا[1].

وهناك شبهة أو علة أخرى أصبحت (تقليدية) لكثرة ما رددها المضللون (بفتح اللامين) الذين تم تخدير عقولهم من الخارج، وهي أن الشريعة ثابتة، والحياة متطورة، والثابت لا يفي بمتطلبات المتطور، ومن ثم كان لا بد من إيجاد مصدر آخر للتشريع يعتمد على العلم العصري والتجارب الإنسانية مع الاحتفاظ للدين بدائرة التوجيه الروحي للأفراد وهذا هو حال العلمانية !!!

وهذه الشبهة – التي أطلقها أول ما أطلقها أعداء الإسلام الحاقدون – لا يطرحها إنسان عرف الله حق معرفته وقدره حق قدره ، فإنها تعني – بداهةً – اتهامه – تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا – بالجهل والقصور، والموقف الأول الواجب اتخاذه

(١) انظر (في ظلال القرآن): ٣/ ١٢١ فما بعدها.

حيال قائلها هو قبل كل شيء دعوته إلى الإيمان وتعريفه بقدر الله تعالى.

لكننا لو تأملنا هذه الشبهة نجد أن لها طرفين وهما:

١-أن الشريعة ثابتة؛ بمعنى أنها أحكام جامدة لا تقبل المرونة ومحدودة لا تقبل التوسع.

٢-أن الحياة البشرية متطورة؛ أي أنها لا شيء فيها ثابت على الإطلاق.

والواقع أن كلا الافتراضين خاطئ تمامًا، وأن مصدر هذه الشبهة إنما هي اللوثة والهلوسة التي أصابت أوروبا بعد الثورات الفرنسية والبلشفية في روسيا والإنجليزية والإيطالية فانتقلت من الإيمان بالثابت المطلق وأهملته تمامًا إلى التطور المطلق دون رقيب حتى حسبت كل منهما تطورًا.

إن التصور الإسلامي لا يقر بالثبات المطلق، ولا يؤمن بالتطورالمطلق، بل ينفرد باعتبار قانون سير الحياة هو (الحركة داخل إطار ثابت حول محور ثابت)[1] وهي ميزة لم ولن تأتي إلا من عند الله ولا يستطيع أن يخططها البشر.

ونتيجة لذلك جاءت الشريعة حاكمة لكلا طرفي الحياة البشرية الثابت والمتغير في إطار عام لا يشذ عنه شيء منهما.

ولقد كان سلف الأمة يفهمون ويقدرون حقيقة تغير الحياة وتطورها تمام الوعي والتقدير.

يظهر ذلك جليًّا في مقولة عمر بن عبد العزيز المشهورة ((يستجد للناس من الأحكام بقدر ما أحدثوا من فجور)).

(١) انظر فصل (الثبات) من كتاب خصائص التصور الإسلامي: ٨٦.

وتظهر أيضًا في عدول الإمام الشافعي (حين انتقل إلى مصر) عن كثير من أرائه الفقهية التي استنبطها بالعراق حتى أصبح له مذهبان: قديم وجديد.

وتتضح تمام الوضوح في القاعدة الأصولية التي تنص على تغير الفتوى بتغير الظروف والأحوال.

إن سلفنا الصالح أدركوا هذا مع إيمانهم الجازم للحقيقة العميقة الكبرى ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣)، ومع إيمانهم المطلق بمدلول قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ (الأنعام: ١١٤)، وفهم هذه الحقيقة (التغيير تحت مظلة الشريعة) بجانب فهم قاعدة الوجود الكبرى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦) يرسم القانون العام للشريعة والدائرة الشاملة للحياة البشرية، والتي تحتوي على ثلاثة جوانب:

الجانب الأول: جوانب ثابتة متعلقة بحقيقة الإنسان ذاته أينما وجد وفي أى زمان ومكان تلك الحقيقة التي لا تتغير ولا تتبدل على الإطلاق: وهذه جاءت الشريعة لها بأحكام تفصيلية ثابتة مثلها، كالشعائر التعبدية المحضة من صلاة وصيام وحج، وكأحكام الطهارة المختلفة، وكأحكام الأسرة من نكاح وقوامة وطلاق وعدة، وكالمحرمات الرئيسية الثابتة من زنا وخمر وسرقة وخيانة ... إلخ. فهذه فصلت بمقتضى الحكمة والهداية الربانية التي لا يملكها البشر، ولو كانت موكولة إليهم لضلوا وتاهوا.

الجانب الثاني: في الحياة البشرية يتعلق بجوانب ثابتة الجوهر والهدف لكنها متجددة النظم، ومتغيرة الأساليب حسب سنن الله الكونية، مثل: نوع الحكم

وطريقته، والمنهج الاقتصادي للأمة، والخطط التعليمية..... وما أشبهها. وهذه وضعت لها الشريعة قواعد وضوابط عامة لا يصح أن تخرج عنها.

فحكم الدولة – مثلًا – يقوم على أصول منها: أن يكون بما أنزل الله، وأن يكون قائمًا على الشورى، ومراعاة جلب المصالح ودرء المفاسد، وسياسة الناس بالعدل، وتوفير أقصى حد ممكن من الأمن والطمأنينة للرعية، هذا هو الجوهر الثابت.

أما التفصيلات فتركها الله – رحمة منه من غير نسيان – إلى اجتهاد الأمة، مثل: كيفية وشروط المبايعة والعزل للحاكم، وتحديد الشورى، وكيفية تنظيم الولايات، والقضاء، وتحديد المصلحة والمفسدة ... إلخ.

المثال الثاني غير الحكم وهو الاقتصاد، يقوم على أصول منها: أن المال كله لله والبشر مستخلفون فيه، ووجوب تأمين الضروريات لكل فرد، تحريم أكل أموال الناس بالباطل في أي صورة، تحريم الربا والمكوس، النهي عن الاحتكار والجشع، النهي عن أن يكون المال متداول بين الأغنياء فقط، الحث على الإنفاق ووجوبه إذا اقتضت الضرورة ... إلخ. هذا هو الجوهر الثابت في الاقتصاد. أما أسلوب وضع الخطط الاقتصادية، وضمان تحقيق هذه الأصول، وكيفية التعامل المباح بين المؤسسات العامة والخاصة وإشراف الدولة أو سيطرتها على الإنتاج أو التجارة، وما أشبه ذلك فهي موكولة أيضًا إلى اجتهاد الأمة. وهكذا بقية مجالات الحياة المماثلة.

هذا مع التنبيه إلى أن الشريعة لم تترك باب الاجتهاد مفتوحًا بطريقة عشوائية؛ بل يجب أن تتوافر فيه شروط منها:

(أ) أهلية المجتهد؛ فليس من حق أي موظف أو مسؤول أن يجتهد حسب هواه.

(ب) ألا يصادم نصًّا أو قاعدة شرعية أخرى.

الجانب الثالث: من جوانب الحياة البشرية وهو الأمور الدنيوية المحضة، ونعني بها الأنشطة البشرية التي لا علاقة لها في ذاتها بالهدى والضلال، والتي اقتضت حكمة الله تعالى أن تعتمد على سعي الإنسان وخبرته؛ كي يحقق بنفسه معنى استخلافه في الأرض واستعماره فيها، وذلك كالسعي في الأرض لاكتشاف أسرار الكون، أو ما يسمى (خواص المادة) واستخدامها لترقية الحياة البشرية وتذليل صعابها، وكسائر الأعمال، والمسائل التطبيقية التي تخضع للتجربة البشرية، مثل: شؤون الزراعة والصناعة والعمارة، وكل مظاهر الحياة المادية[1].

وهذه موكلولة بكاملها إلى الجهد البشري دون تدخل من الشريعة إلا أنها بوقوعها في دائرة الحياة البشرية تخضع للغاية الأساسية من الوجود (وهي العبادة) من جهة أنها ينبغي أن تكون كلها لله وحده لا شريك له، فهي بصفة عامة مندرجة تحت (المباح) فهي كالسلاح يستخدمه الشرطي كما يستخدمه اللص، لكن المؤمن يستخدمها باعتباره الشرطي الحارس لحدود الله تعالى.

ربما أنه ليس في الحياة البشرية شيء يبقى بعد هذه الأقسام أو يخرج عنها، فلم يعد هنالك ما يبرر أية شبهة حول إسلام الحياة كلها لله، خالصة له، وحدة مستقيمة على حكمه وشرعه. فيا أيها العلمانيون المتطرفون أيبقى شيء من أمور الحياة تركته الشريعة ولم تنظمه؟ أترك الله أو نسي شيء – وحاشاه – لكم لكي تأتوا بعد أن يخلقكم لتعدلوا في شريعته؟ يا من ضحك عليكم الغرب بمعتقداته الواهية التي لم تنفعه هو وجعلكم عملاء له لتنشروا أفكاره الخبيثة في المجتمعات الاسلامية عامة والعربية خاصة. ويا للعجب أنكم تفتخرون بأنكم تأتون بالتقدم الأوروبي والحقيقة أنكم

(١) انظر قبسات من الرسول: الفصل الأخير وتهافت العلمانية: ١٤، ١٥ ومنهاج الإسلام في الحكم: ٣٨، ٣٩.

لا تأتون إلا بالتخلف الأوروبي وفضلاته وروثه! فمن أنتم حتى يعطونكم تقدمهم وتكنولوجيتهم وأسرارهم، إنهم يعطونكم فضلاتهم، أنتم تتعلمون منهم التعري تعري المرأة، وتدعون أن هذه الحرية، إنكم تتعلمون منهم الشذوذ وتدعون أن هذه هي الحرية. إنكم تتعلمون منهم عبادة الشيطان وتدعون أن هذه هي حرية العقيدة، أهذا هو تقدم الغرب الذي أتيتم به إلينا؟إنهم يضحكون عليكم ويعطونكم المنح الدولية وشهادات التقديروجوائز نوبل ليزرعوا في قلوبكم الإحساس الخاطىء بأنكم أصبحتم علماء وبأنكم تفوقتم على بني جلدتكم المسلمين، وبالتالي يزرعوا فيكم التعالي الكاذب على الإسلام، ولكنكم وللأسف تلهثون وراء سراب. إنهم يستعملونكم لتحقيق أهداف كبرى أكبر بكثير من هذه الورقة أو الوسام التي يعطونها لكم. أود أن أسألكم أيها العلمانييون المتطرفون أين كنتم منذ مئة عام، وأين ستكونوا بعد مئة عام؟ أنتم كنتم لا شيء وستكونون لا شيء، وسيبقى الله الواحد الأحد، كل شيء هالك إلا وجهه، وتريدون أن تغيروا شريعته، ألم يكن الله حين شرع للبشر يعلم احتياجاتهم على مر الأزمنة والعصور؟ أليس هو خالقهم وأعلم بأحوالهم؟ أكان ينتظركم أنتم لتطوروا شريعته؟ أألقي إليكم بالوحي كما أرسله إلى أنبيائه؟ أنتم لا تملكون من أمركم شيئًا، إن فيروسًا حقيرًا لا يرى بالعين المجردة ويموت عند أقل درجة حرارة يجعلكم أنتم والفراش سواء، يجعلكم مرضى لا حول لكم ولا قوة، بدلًا من أن تشكروا الله على نعمه عليكم تقولون لا دخل لله في السياسة، بالفعل لا دخل لله في سياستكم هذه، هذه السياسة الحقيرة الكاذبة المتأمركة، هذا أكبر دليل على أنكم تعلمون أن سياستكم العلمانية سياسة دنيئة واهية تريد أن تسحب المجتمعات الإسلامية إلى المستنقعات والتخلف الأوروبي الذي تستوردونه لنا، والله دائمًا يجري الحق على لسان الأعداء. إن طلبكم هذا وهو فصل

الدين عن الحياة في محله الصحيح وهو اعتراف صحيح منكم على كفر منهجكم بدليل أنكم تريدون إبعاد الله عن سياستكم؛ لأنها سياسة نجسة فلا يصح أن نقرنها باسم الله العظيم. بما أنكم تعترفون بذلك، فلماذا تخافون من تطبيق شريعة الله؟ أنا أجيبكم أنكم لا تجدون في شريعة الله ما يكون على هواكم وهوى من يستعبدونكم، لا تجدون فيها الإباحية، لا تجدون فيها الشذوذ الجنسي الذي تغرقون فيه، وتخرج علينا السيدة نوال السعداوي عندما يسألها إعلامي عن رأيها في علاقة المثلين (رجل مع رجل وأنثى مع أنثى) وتقول له (للأسف لم تتوافر لي شخصيًّا الظروف التي تجعلني أمارس هذا النوع من الجنس بحكم عادات وتقاليد البيئة التي نشأت بها، أما رأيي الشخصي – الكلام ما زال لنوال السعداوي – أنه لماذا لا نسمح بهذا؟ إنها حرية شخصية، كل واحد يمارس الجنس كما يريد، وأنا شخصيًّا لي أصدقاء يمارسون السحاق واللواط مع بعضهم البعض) انتهى كلامها، بالله عليكم يا إخواني أهولاء بهذه العقلية الشاذة يجدون لهم مكانًا في الشريعة الإسلامية؟ بالطبع لا. وأنا أقول لهم: يا من تريدون أن تفصلوا بين شريعة الله وبين الحياة البشرية؛ لأنها لا تحقق مخططاتكم في تدمير الإسلام وستبقى سلاحًا مسمومًا في ظهوركم. أقول لكم: إن شريعة الله فيها الكفاية عن كل شيء، فيها الملجأ والملاذ، فيها الإنقاذ من الغرق، فيها العفة عن الأخطاء والآثام، فيها منهج حياة الفرد والأسرة والمجتمع، والأمة لا تنتظركم أنتم يا من ولدتم من فروج أمهاتكم بين مخرجي النجاستين البول والبراز لا حول لكم ولا قوة. يا من لا تستطيعون أن تاتوا بأقصر سورة من سور القرآن. يا من لا تستطيعون أن تؤخروا ملك الموت لحظة عن قبض أرواحكم. يا من ليس لكم أي دخل في خلقتكم. أيستطيع الأسود منكم أن يجعل جسده أبيض حقيقة (بدون استعمال مساحيق الوجه)؟ أيستطيع القصير منكم أن يزيد من طوله سنتيمترًا

واحدًا. يا من لا تستطيعون أن تضمنوا لأنفسكم إذا أخذتم شهيقًا أن تخرجوا بعده زفيرًا. يا أتباع العلمانيين. يا من تتبعونهم ولا تعلمون نواياهم الخبيثة، هم يبيعون دينهم بدراهم معدودة، ومن يبيع دينه يبيع بلده. أما أنتم فمضللون تتبعونهم فقط لأنكم فرحون باللقب لقب علماني، وتعتقدون أن علماني (بكسر العين) من العلم، لا يا إخواني، والله إن منهج العلمانية (بفتح العين) من العالم هو فصل شريعة الله عن الحياة. إني أخشى عليكم والله يوم أن تلقوا الله ماذا تقولون له؟ أتقولون له قد ألقينا بشريعتك عُرض الحائط، أم ستقولون له لم تعجبنا شريعتك؛ لأنها لم تكن تحتوي على ما يرضي شهواتنا وغرائزنا البهيمية، أم ستقولون له أن شريعتك - يا رب - كانت مقيدة لحرياتنا الشخصية. أنت يا رب قررت لنا أن نتزوج بطريقة شرعية الذكر من الأنثى والأنثى من الذكر، وكنا لا نريد الزواج لأنه مقيد للحرية فاستبحنا الزنا، وكنا لا نريد التزام الذكر بالأنثى والأنثى بالذكر فاستبحنا السحاق واللواط، وحرمت علينا الربا فاستبحنا التعامل به - يا ويلكم ثم يا ويلكم - ماذا ستقولون لربكم الذي خلقكم وأنطقكم وعلمكم ومنحكم العقل لتعرفوه به، ولكن للأسف حاربتموه به. منحكم ألسنة لتذكروه بها فبدلًا من أن تذكروه وتعظموه وتوحدوه بها طالبتم بعزل شريعته عن حياتكم. يا علمانيون أنت لم تطلبوا عزل الله وشريعته عن حياتكم، ولكن في الحقيقة أنتم طلبتم عزل أنفسكم عن رحمة ربكم - ولكن سيأتي اليوم الذي لن ينفع نفسًا إيمانها لم تكن أنتم من قبل أو كسبت في إيمانكم خيرًا، قل انتظروا أنا منتظرون ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ (البقرة: ١٦٦ - ١٦٧)، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ

أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾(المؤمنون: ٩٩ - ١١١) وأخيرًا، أسألكم يا من لا تعجبكم شريعة الله لماذا لا تعجبكم خلقة الله؟ لماذا لا تطالبون بتعديل الجسد البشري كما تطالبون بتعديل شريعة الله؟ إن خالق الجسم البشري منذ آدم إلى أن تقوم الساعة بهيئة واحدة هو هو من وضع لهذا الجسد ما ينظم حياته ودنياه، وجعل له في الأخرة إما جنة إذا رضي بحكم الله، وإما نار إذا ابتعد عن شريعة الله، فاختار لنفسك يا من تريد فصل شريعة الله عن حياتك. يا من لا تعلم إذا كنت ستعيش لغد أم لا. يا من لا تعلم إذا كنت ستعيش إلى أن تغير شريعة الله أم لا. يا من ظلمت نفسك اعلم أن شريعة الله باقية وأنت إلى زوال. اعلم أن شريعة الله باقية وأنت إلى التراب تصير. اعلم أن شريعة الله في أعلى عليين وأنت تحت الأرض مثواك، وهل يضر السحاب نبح الكلاب؟ وهل يضر المحيط حجرة صغيرة يرميها طفل بهذا المحيط؟! أنصحكم وأنصح نفسي أيها العلمانيون أنتم مسلمون أنتم موحدون خلقكم الله مسلمين فاغتنموا هذه الفرصة ولا تضيعوها، غيركم ولد كافرًا في بيئة كافرة، ولم يستطيع أن يستعمل عقله وفطرته للوصول إلى الله، أما أنت فقد أنعم الله

عليك بالإسلام فتوبوا إلى الله أيها المسلمون. يا من استحسنتم لقب العلمانيين على لقب المسلمين، إن لكم في الإسلام الكفاية عن كل شيء فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله، إن الله بصير بالعباد.

- **الليبرالية (ذراع آخر):**

ما هي الليبرالية ؟؟؟

لم يتفق صنَّاع الليبرالية على تعريف يُحدد معناها بوضُوح، لكنهم اتفقوا على وصفها بـ «الحرية المطلقة»، يقول دونالد سترومبرج : «إنَّ كلمة الليبرالية مصطلحٌ عريض وغامض، ولا يزال إلى يومنا هذا على حالةٍ من الغموض والإبهام».

و«الليبرالية فكرةٌ ليست من صنع عَقلٍ بشري واحد، ولا وليدة بيئة ثقافية أو ظروف زمنية واحدة، فقد تعددت تعريفاتها والخلاصة أنها تنزع إلى المادية والفردية والتحرر من كل قيدٍ أو ثابت».

والليبرالية هي - في الأصل - مصطلحٌ أجنبيٌّ مُعرَّب، مأخوذ من (Liberalism) في الإنجليزية، و(Liberalisme) في الفرنسية، وهي تعني: (التحررية)، ومصدرها (Liberty) في الإنجليزية، و(Liberte) في الفرنسية، ومعناها الحرية.

تقول الموسوعة البريطانية: «وحيث إن كلمة Liberty (الحرية) هي كلمةٌ يكتنفها الغموض فكذلك هو الحال مع كلمة (ليبرالي)».

وقد جاء في موسوعة (لالاند) الفلسفية تعريف الليبرالية بأنها: «**الانفلات المطلق بالترفع فوق كل طبيعة**». هذا هو تقدمهم وهذه هي حضارتهم عبارة عن

انفلات، ونحن نقلد تقليد أعمى والله المستعان.

وقد عرَّفها المفكر اليهودي (هاليفي) بأنها: «**الاستقلال عن العلل الخارجية، فتكون مشتقاتها: الحرية المادية، والحرية المدنية أو السياسية، والحرية النفسية، والحرية الدينية**».

وعرفها الفيلسوف الوجودي (جان جاك روسو) بأنها: «**الحرية الحقة في أن نطبق القوانين التي شرعناها نحن لأنفسنا**». وأنا اقول له من الذي هداك وأنت في المهد لترضع من ثدي أمك. أأنت الذي حددت الهدف وشرعت لنفسك الطريق إلى ثدي أمك من أنت حتى تقول شرعناها، هل تستطيع أن تنقذ نفسك من حشرة إذا دخلت إلى أعلى أنفك؟؟!!!!

وعرفها الفيلسوف (هوبز) بأنها: «**غياب العوائق الخارجية التي تحد من قدرة الإنسان على أن يفعل ما يشاء**».

وعرفها المفكر (برنيس) بأنها: «**الاستقلال الناتج عن غياب الإكراه، سواء كان ببواعث مادية خارجية، أو بواعث داخلية أخلاقية، والناتج أيضًا عن قوة إعمال العقل**».

وجاء في موسوعة (ويكيبيديا) الإلكترونية وصف الليبرالية بأنها: «**حركة وعي اجتماعي وسياسي داخل المجتمع، تهدف لتحرير الإنسان فردًا وجماعة من القيود الأربعة (السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية) ... وتعترض الليبرالية على تدخل الدين في الأمور الشخصية بشكل عام، وهي بهذا مقاربة للعلمانية بشكل كبير**».

وفي (موسوعة المورد العربية) عُرِّفتْ الليبراليةُ بأنها: «**معارضة المؤسسات السياسية والدينية التي تحدد من الحرية الفردية، وهي تطالب بحق الفرد في حرية**

التعبير وتكافؤ الفرص».

وجاء في (الموسوعة الميسرة) بأنَّ الليبرالية هي: «**مذهب رأسمالي ينادي بالحرية المطلقة في الميدانين الاقتصادي والسياسي**».

مكائد الليبرالية بالإسلام:

لم يتفق صناع الليبرالية والقائمون عليها على تعريف يحدد بوضوح منهجها، لكنهم أجمعوا على وصفها بالحرية المطلقة ولا يكاد يتفق فردين من أتباعها على سقف محدد لحريتهما، إذ إنهم يرون أن لكل فرد منهم أن يحدد سقف حريته الشخصية بما يراه.

والحرية المطلقة المقصودة كما يروج لها صناع الليبرالية عبر تاريخها هي التحرر من كل القيود سواء كانت دينية أو سياسية أو غير ذلك من القيود المفروضة على حرية الفرد.

وفي الوقت الذي فيه عجز الليبراليون أنفسهم عن تعريف مذهبهم. فقد وضع الله – سبحانه وتعالى – لهم تعريفًا في قرآنه المعجز حيث قال الله تعالى: ﴿**أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾ (الجاثية: ٢٣).

فمن يرى أن متطلبات حريته الشخصية تعلو وتسيطر على ما شرع الله من أحكام وأوامر ونواهي فهذه تأليه للهوى واتباعًا للشيطان، الذي قطع عهدًا على نفسه بأن يغوي بني آدم إلا من أخلص منهم العبادة لله وحده، قال الله تعالى: ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ (ص: ٨٢-٨٥).

وينقسم دعاة الفكر الليبرالي إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يؤمن بهذا الفكر جملة وتفصيلًا ويدعي أنه المنقذ الوحيد للبشرية والطريق الصحيح لتقدمها، وينبذ كل ما سواه من أفكار وتشريعات ومعتقدات مدعيًا أنها مقيدة لحرية الفرد. (ليبرالي متطرف).

القسم الثاني: فئة مغرر بها مسيطر على عقولها وهم تلاميذ للقسم الأول مصدقة لكثير مما يطرح من فكر ومنفذة لأجندته لا ترى إلا ما يرى هو. بحثًا عن تحقيق أهدافه (المزعومة) إلا أنها تريد أن يبقى معتقدها الإسلامي مقدس دون تغيير (ليبرالي إسلامي). وأرجو من الله ألا ينطبق هذا النموذج على قادة جماعة الإخوان المسلمين.

القسم الثالث: فئة تعرف أن هذا الفكر باطل جملة وتفصيلًا، لكن هذا لا يعني لها الشيء الكثير فهي تتبع أصحاب الصوت المرتفع، طالبة للشهرة والمال أين كان مصدرهما فهي تركب كل مطية توصلها لهدفها ولو على حساب معتقدها الديني وقيمها الاجتماعية. (راكبوا الموجة – ولكنها ستغرقهم بل بالفعل أغرقتهم وهؤلاء مثل أعضاء الحزب الوطني بمصر سابقًا) ..

ونجح هذا الفكر (الحرية المطلقة) كثيرًا في الغرب، مما شجعهم على اتخاذه سلاحًا لتنفيذ مخططاتهم في البلدان الإسلامية.

إلا أن العائق الوحيد الصامد أمام هذا التيار الذي لم يتوقعونه هو دين الإسلام، وذلك لقوة منهجه وترسخه في نفوس أتباعه وبلاغة حجته وتميزه عن سائر الأديان بالشريعة الإسلامية التي تنظم وتهيمن على حركة الإنسان المسلم في كل جوانب حياته بعكس الديانات الأخرى التي تنفصل انفصالًا تامًّا عن حياة معتقديها فكانت

أرضًا خصبة لليبرالية والعلمانية، ولا ريب أن شرع الله قد تكفل الله بحفظه وسخر لنصرته من يشاء من عباده. فعلم القوم أن المواجهة المباشرة مع الدين الإسلامي، مواجهة خاسرة لا محالة، فما كان منهم إلا المكيدة بواسطة أتباع الإسلام (المسلمين أنفسهم) ليهدموا دينهم بأيديهم. واتخذوا لتنفيذ هذا النهج طرائق وأساليب ملتوية على غرار البروتوكولات الصهيونية السالف ذكرها تحت عنوان (الرأس).

- **ومن أول المكائد:**

الادعاء بأن فكر الليبراليين وجهادهم هو ضد التيار الإسلامي وليس الإسلام ولكن التيار الإسلامي هو الهدف. انظر إلى الدهاء والخبث والمكر وهذا الادعاء يعد من أقوى الخطط والاستراتيجيات لدعاة الفكر الليبرالي للتمويه على المسلمين. **والخبث والسم المندس في هذه الفكرة هو ما يلي:**

١- إيهام المسلمين أن المقصود تيار معين وليس المسلمين والإسلام.

٢- الإبقاء على الباب مفتوحًا في أي لحظة للرجوع وذلك عندما ينهزموا وتضعف حجتهم وتنكشف خطتهم أمام الدليل الشرعي حينئذ يقولون نحن لم نتهم الإسلام ولكننا كنا نتهم الأشخاص.

٣- كسب تعاطف أكبر عدد من العامة الذين لا يعلمون حقيقة المواجهة (وما أكثرهم) - وبالفعل جعلوا العامة يقولون: لماذا تهاجمهم يا أخي؟ هم لم يهاجموا الإسلام بل يهاجموا الإسلاميين المتطرفين !!!!!!

وللأسف الشديد فقد نجحت هذه المكيدة إلى حد كبير، فلم ينتبه بعض المواجهين لفكر التيار الليبرالي لخطورة هذه المكيدة.

فعندما يوضح أحد الدعاة للمسلمين خطورة ما تبثه بعض القنوات من مفاسد

تضر بالعقيدة والأخلاق، ترتفع أصوات الليبراليين مدعين أن التيار الديني كأشخاص هو الذي يرفض ما يعرض في هذا القنوات وليس الإسلام (كذبوا وافتروا) فالحق أن الدين الإسلامي هو الذي يحرم كل ما يضر بمعتقد وأخلاق المسلم ولا ولن يتكلم أحد من نفسه أو برأيه بل هو كله من القرآن والسنة، وليس هذا فكر تيار ديني (كما يزعمون) بل هو شرع الله الحكيم.

فهم بهذه المكيدة قد نجحوا في وضع فتنة بين العامة وبين الدعاة حيث أظهروا الدعاة بمظهر المتشددين الذين سيقطعون يد السارق ويجبرون المرأة على ارتداء الحجاب مع أن هذا هو شرع الله ولا يخاف من قطع اليد إلا السارق ولا يخاف من الرجم والجلد إلا الزاني ولذلك أظهروا هذا الشرع بشكل مرعب على الفضائيات التي احتلوها بأموالهم فاحتلوا العقول والقلوب من العامة.

- **المكيدة الثانية وهي مكيدة التقليل من قدر العلماء:**

يعلم الليبراليون أن المسلمين عبر تاريخهم يرجعون في تعلم شرع الله وتفسير أحكامه إلى العلماء الشرعيين الثقات، وإن مصدر القوة المواجهة لفكرهم يكمن في قوة حجة العلماء الراسخين في العلم وثقة الناس بهم.

فكان لازمًا عليهم أن يعملوا على سحب الثقة القائمة بين العلماء وعامة المسلمين ليسهل تنفيذ مخططهم.

فعمدوا إلى اتهام العلماء بأنهم يمارسون وصاية على الناس – حتى علماء السلف لم يسلموا منهم فقالوا أن كتب هؤلاء العلماء قد عفى عليها الزمن وهم رجال ونحن رجال والحياة تتغيير. وأن المسلمين كالقطيع يتبعون دائمًا العلماء وأن العلماء يحتكرون التفكير والاستنباط من النصوص الشرعية. ويدعي الليبراليون إن هذا

الاستنباط حق لكل فرد وليس خاص بالعلماء فقط.

ولا شك أن هذه المكيدة باطلة للأسباب الآتية:

١- العلماء لم يولدوا من بطون أمهاتهم شراح كتب ومفسري نصوص بل وصولوا إلى هذه الدرجة من العلم بعد أن أمضوا السنوات الطوال في دراسة العلم الشرعي على يد علماء راسخين في العلم سبقوهم في ذلك آخذين عن النبي ﷺ وعن صحابته ﷺ.

والمسلمين ملتزمين بفهم دينهم من مصادره الموثقة وليست القضية قضية وصاية بل هي التثبت والتحري في أخذ العلم من أهله.

فالإنسان عندما يداهمه المرض يسارع بالذهاب إلى الطبيب لأنه الأجدر على التشخيص والعلاج بحكم تخصصه، فهل معنى هذا أن الطبيب أصبح وصيًّا على الناس؟!

وكذا من استشكل عليه أمر من أمور دينه فإنه يذهب للعالم لأنه الأجدر بحكم تخصصه على توضيح المسألة، فهل يمارس العالم وصية على الناس، إن الناس هم الذين بحاجة للعلماء وليس العكس.

٢- من الغباء أن يتهم المسلمين بالقطيع عندما يعودوا إلى علمائهم، وإن سلمنا بتسمية كل من يتبع منهج معين بالقطيع، فالقطيع الذي يتبع المنهج الحق أفضل وأجل وأكثر فهمًا من القطيع الذي يتبع المنهج الباطل.

فالليبراليون لا ينكرون على أنفسهم من اتباع زعمائهم وكتبهم بل من يفعل ذلك منهم يمجدوه على ما وصل إليه من رقي في الفكر فلماذا لا يطلقون على أتباع زعمائهم في الليبرالية قطيعًا؟

- **المكيدة الثالثة وهي مكيدة قضية المرأة:**

كانت قضايا المرأة ولا تزال عند الليبراليين (بل عند الطرف الثالث أجمعين) المحور الأساسي في نشر سمومهم والاصطياد في الماء العكر، فتقمصوا دور المنقذ للمرأة من الظلم وضياع الحقوق متخذين أكثر من وسيلة لإبراز دورهم المزعوم في إنقاذها. وكأن نساء المسلمين واقفين على نواصي الشوارع ينادونهم انقذونا من شريعة الله ؛؛؛؛

ومن ذلك على سبيل المثال: الحجاب:

ومعلوم أن الحجاب للمرأة يعد من العبادات التي تتعبد به لربها – سبحانه وتعالى – امتثالًا للنصوص الصريحة من القرآن العظيم الذي لا يؤمن الليبراليون إلا به لأن السنة النبوية المطهرة تسبب لهم أرقًا وارتكاريا في جلودهم وارتفاع في الضغط وسكر الدم ..

وصفة الحجاب الشرعي على قولين من أقوال أهل العلم الشرعي المعتبرين، حيث يرى أصحاب القول الأول – وجوب تغطية الوجه للمرأة ويرى أصحاب القول الثاني جواز كشف الوجه بشروط منها:

أ – أن تأمن الفتنة على نفسها.

ب – أن تتجنب الزينة التي تدعو للفتنة.

إلا أن الليبراليين يرون أن الحجاب من علامات التخلف والرجعية، ويمنعون في وسائل الإعلام المسيطرين عليها خروج المرأة متحجبة بالحجاب الشرعي.

بل الأمر يتعدى ذلك، فعندما يطرحون قضية اجتماعية للنقاش في الإعلام ينتقون

الضحية (من النساء المحجبات حجابًا شرعيًّا) ثم يأتون بجوارها بامرأة متبرجة تقوم بدور (المثقفة) أو المصلحة الاجتماعية! ويهدفون من ذلك الفعل المتكرر أن ينقلوا صورة سيئة عن المحجبات مفادها أن المحجبة دائمًا ضحية للظلم وغير قادرة على أخذ حقوقها، ولا تملك حتى القدرة على الرد لما يطرح من استفسارات المشاهدين وتفتقر للثقافة العامة، أليس هذا هو الظلم بعينه ألا يعد هذا ظلمًا واحتقارًا للمرأة من أصحاب دعاة تحرير المرأة. أليست هذه هي الرجعية بمعناها الحقيقي؟

وقد كان ولا يزال لبعض المسلمات المحجبات إنجازات علمية عالمية - تحدث عنها العالم إلا إن الإعلام الليبرالي لم يشر حتى إشارة لهذه الإنجازات وصاحباتها، لأنهن فقط محجبات.

وما يختارون من مذيعات في قنواتهم، يفرضون عليها نزع الحجاب أو على أقل تقدير أن لا تغطي كامل رأسها بالحجاب وتظهر ما يدعو للفتنة والتميع في القول كسبًا للجمهور. (ولكن هيهات هيهات هذا الجمهور هو الذي سيلقنهم درسًا في كيفية تطبيق الشريعة الإسلامية بإذن الله تعالى).

وقد قال النبي ﷺ: (ما تركت فتنة بعدي أضر على الرجال من النساء) (رواه البخاري ومسلم). (وعند مسلم): (فاتقوا الدنيا واتقوا النساء).

العكس هو الذي حدث:

١- الليبراليون ظلموا المرأة في الغرب بجعلها دمية للرقص والاستعراض في ملاهيهم الليلية ومنصات عرض الأزياء، ومادة إعلانية لترويج السلع التجارية. وجعلوا جسدها مقوم من مقومات السياحة هناك. وهذا هو التخلف بعينه والجاهلية بعينها.

٢- المرأة المسلمة تدين لله بارتداء الحجاب عبادة وليس عادة ولا تراه ظلمًا وتخلفًا.

٣- يوجد الكثير من الظلم وضياع الحقوق للمرأة في العالم الإسلامي بسبب تصرفات فردية أو منظمة بسبب غياب تطبيق تعاليم الدين الإسلامي. إلا أن الليبرالية اصطادت بالماء العكر واستغلت هذه الأخطاء فالحل هو العودة إلى شرع الله الذي جعل للمرأة حقوق وعليها واجبات كما للرجل.

٤- المرأة والرجل مختلفين في المقومات وفي الحقوق والواجبات في الدين الإسلامي وعندما يقوم كلا منهما بدوره المنوط به، يعد ذلك تكاملًا بديعيًّا في المجتمع يسهم في رقيه المعنوي والمادي، والمساواة بينهما في الحقوق والواجبات يبطل التكامل ويضعنا أمام مجتمع من نصف واحد.

- **المكيدة الرابعة وهي مكيدة التخلف العلمي:**

ادعى الليبراليون عبر تاريخهم منذ عصر الاستعمار في العالم الإسلامي ويدعون اليوم أن تطبيق الشريعة بشمولية في حياة الناس من أسباب تخلف الأمة الإسلامية، وقتل الإبداع وحرية التفكير. مستشهدين على ذلك بما يحدث في أوروبا من تقدم علمي بعد سقوط كهنوت الكنيسة.

موهمين الناس أنه لا تقدم في العلوم المادية إلا بتهميش العلوم الشرعية، مدعين أن العقل يجب أن يكون وصيًّا على الدين، يأخذ منه ما يوافقه ويفهمه ويترك ما لا يتفق مع هواه وحجتهم في ذلك أن الدين همش أهمية العقل.

وهذا كذب وافتراء بدليل:

١- إن الإسلام جاء شاملًا لكل مناحي الحياة، رحمة للعالمين مرشدًا إياهم إلى كل ما يصلح حياتهم ومبينًا لهم ما يضرهم، مشجعًا على طلب العلم النافع أيًّا كان

نوعه بعكس الكنيسة تمامًا فليس هناك أي تشابه على الإطلاق كما أشرنا في بحث العلمانية.

٢- إن من الظلم أن يشبه علماء الإسلام المعتبرين بكهنوت الكنيسة، فعلماء الإسلام يستندون في قولهم الشرعي إلى دليل صريح أو إجماع أو قياس صحيح، وذلك بعد أن يصل العالم إلى درجة من العلم يحق له الاجتهاد والاستنباط، وليس لعالم أيًّا كان أن يدعي شيئًا دون أن يوضح الدليل عليه، بعكس ما يفعل أصحاب الكنيسة يقولون بالقول ولا يستطيع أحد أن يطلب منهم الدليل بل على الجميع الانصياع والطاعة مستغلين بذلك مصالحهم بأخذ أموال الناس وتضييع حقوقهم بالباطل، فهل هؤلاء مثل أولئك؟ (إن هذا لبهتان عظيم).

٣- لم يذكر الليبراليون للعالم الإسلامي رؤية واضحة أو سببًا مقنعًا يقوي دعواهم بأن الحرية المطلقة هي من أوصل الغرب للتقدم العلمي المادي. فأنا أطالبهم بالدليل على أن سبب تقدم أوروبا هو الانحلال في الأخلاق وإباحية الجنس حتى في الطرقات وشرب الخمر والترنح في الشوارع وانتشار زنا المحارم والقتل في حواري شيكاغو، أرجو منهم الدليل على أن هذه الأخلاق التي يريدون أن ينشرونها في البلاد الإسلامية هي سبب التقدم والرقي؛ أفيدونا أيها المتحضرون.

إنهم جاءوا يطالبون بفتح دورًا للسينما وفتحوا قنوات تنشر الانحلال الأخلاقي والعقدي، وساهموا في تشتت الأسرة المسلمة من خلال زرع الفتنة بين أفرادها بحجة أن لكل فرد فعل ما يشاء متى شاء وإن ليس لأحد ولاية أو وصاية على أحد. إنهم نجحوا في أن يجعلوا الرجل الشرقي صاحب بالين - وأنتم تعرفون جيدًا أن صاحب بالين كداب كما يقول المثل الشرقي - فهم جعلوه يترنح بين موبقات الغرب وفواحشه وبين شريعته الإسلامية التي تنهاه عن ذلك لتحافظ على آدميته

وإنسانيته – فهو يريد أن يقلد الغرب لأنه يعتقد أن هذه الموبِقات هي سبب تقدم الغرب ولا يعرف أن الغرب تقدم لأنه سار في اتجاه واحد ولم يكن صاحب بالين – سار في اتجاه عقله وهواه فنجح نجاحًا شديدًا لأن هذه سنن الله في كونه وفي خلقه – أما أنت أيها الإنسان المسلم الشرقي لم تعرف طريقك ولم تأخذ طريقًا محددًا ولذلك فشلت – لا أنت اتخذت الطريق المستقيم طريق فطرتك التي فطرك الله عليها طريق الشريعة التي بها حكم السلف الصالح العالم أجمع وتقدم تقدمًا يركل بقدمه هذا التقدم الأوروبي القزم بجانب التقدم العربي الإسلامي في القرون السابقة – ولا أنت قلدت الغرب بطريقة كاملة فنجحت مثله – أنت فقط اعتقدت أن مجرد ارتكاب الفواحش وشرب الخمر وتعري المرأة هذا هو سبب تقدمهم – وهذا خطأ مئة بالمئة – وهذا الذي يريد أن يطبقه الليبراليون معتقدين أن هذا سبب تقدم الغرب !!!!!! هم يريدون أن يقلدوا الغرب في موبِقاته ويريدون أن يدخلوا الجنة في آن واحد.

فهل هذا مشروع الليبراليين لإخراج الأمة الإسلامية من التخلف عن ركب الحضارة؟

وهل هذه المعطيات هي التي ساهمت في وصول الغرب إلى ما وصل إليه من تقدم علمي ملحوظ؟

٥– يدعوا الليبراليون إلى حرية الاستنباط من الأدلة الشرعية لكل فرد أيًّا كان وعلى هواه وبالتفسير الذي يراه وأضرب مثلًا لذلك عندما سألوا مخرج سينيمائي مصري عن الإباحية التي تتميز بها أفلامه الهابطة فرد قائلًا أنا أفعل كما قال الله في القرآن – ولقد همَّت به وهمَّ بها – فكما صور القرآن قصة يوسف مع زليخة أنا أصور أيضًا للناس العلاقة بين الرجل والمرأة في الواقع – الله على العقل البشري

عندما يطلق صاحبه له العنان.. فهل عقل مثل عقل هذا المخرج في تفسيره للآية يستطيع أن يستنبط الأحكام من القرآن - إذا كان هذا المخرج لن يقتنع ويصدق أن يقوم داعية من الدعاة بإخراج فيلم من الأفلام فلماذا هو يتطفل ويقحم نفسه في تفسير آيات القرآن. ألا يؤمن بالتخصص؟؟؟؟

إن الاجتهاد والاستنباط من الأدلة الشرعية يحكمه درجة أهلية الفرد لذلك، فمن لم يكن دارسًا دراسة وافية للعلوم الشرعية ملمًّا بالأدلة قادرًا على الجمع بينها فليس له حق الاجتهاد والاستنباط. (فهل سيادة المخرج لديه هذه المقومات والأهلية لاستنباط الأحكام الشرعية؟)

السؤال المهم جدًّا هو هل الليبراليون مطبقين فعلًا لمنهج وفكر الليبرالية؟

الجواب: إن زعماء الليبرالية ورعاتها هم من قهروا الشعوب ونهبوا ثرواتها تحت وطأة الجيوش الجرارة.

دعاة الحرية المطلقة هم من منعوا الحجاب عن المسلمات في فرنسا وفي تركيا وفي تونس - وفرنسا للأسف تصنف من ضمن بلاد الحريات وهي تحرم التعليم والعمل على من يلبس الحجاب من المسلمات. إن دعاة الحرية هم الذين خطفوا الأطفال من إفريقيا وضحايا تسونامي ليستعبدوهم وليبيعوهم بأبخس الأثمان لمن يعبث بأعراضهم.

دعاة الحرية المطلقة يحتكرون الاقتصاد في العالم بالقوة، فها هي السودان بعد ما اختارت أن تقيم على منشأتها النفطية شركات صينية، قامت الدنيا ولم تقعد، فأثاروا الفتنة بين أقطابها ولفقوا التهم حول صناع القرار فيه، وذلك فقط لأنها اختارت بنفسها قرارًا بعيدًا عن الهيمنة.

في فرنسا سُنَّت القوانين لمنع التدخين في جميع الأماكن العامة في ظل الحرية المطلقة وامتثل الليبراليون لهذا القانون البشري، فلماذا ينقمون علينا الامتثال للقانون الذي شرعه الله ورسوله؟

إذا كان الغرب اختار لنفسه أن يعيش بحرية مطلقة فله ما فعل، ونحن كمسلمين اخترنا - بفضل الله - حريتنا ضمن ضوابط شرع الله الحكيم، فهل لدعاة الحرية المطلقة أن يتركوا لنا اختيارنا؟؟ وأعتقد أن هذا من أساسيات الحرية، أم أن الحرية التي يدعون أنهم أنصارها تقاس بمصالحهم ومطامعهم المادية والاستبدادية في العالم الإسلامي؟

سؤال آخر أوجهه لليبراليين:

أبو جهل كان مشركًا كافرًا لكنه كان يعترف بأن الله هو من خلق السماوات والأرض وهذا الاعتراف يوافق ديننا الحنيف، فهل نقر بهذه الإيجابية (وهي الإيمان بأن الله هو الخالق) مع بقاءنا على ديننا الصحيح أم يلزمنا أن نتبع سبيل أبي جهل لأن فيه بعض الإيجابيات؟

إن من المسلمين من أوغل في الشبهات حتى طاف القبور واستغاث بأهلها من دون الله، وهو يرى أنه لا يعارض شرع الله! ومؤمن تمامًا بما يفعل، ومن المسلمين من أوغل في الشهوات حتى دعا إلى نزع حجاب المرأة بحجة أن المرأة عندما تتحجب لا يجد الشاعر جمالًا يكتبه في قصائده. وهو يرى أنه لا يعارض شرع الله! ويقول إن الله جميل يحب الجمال.

فهل هذا هو التحضر وهل هذا هو العقل البشري الحكيم؟ - إن المرأة في الإسلام جوهرة مصونة ممنوع الاقتراب منها إلا لمن يستحقها ويصونها ويرعى الله فيها - لقد

جاء الإسلام وحرر المرأة من العبودية والتعري عند الأصنام والأوثان حيث كانوا يتعرون كيوم ولدتهن أمهاتهن بحجة أن هذه الملابس القديمة لا بد أن تنزع وترمى لأنها الملابس التي ارتكبت فيها الذنوب وكانت المرأة تباع وتشترى - سبحان الله هم أعادوا الجاهلية مرة أخرى في أوروبا ويريدون أن ينشروها في العالم الإسلامي - فالآن المرأة في أوروبا تستباح من كل الرجال، فبالله عليكم: دين يجعل المرأة لا تستباح إلا لرجل واحد وهو زوجها خير أم دين يجعل المرأة تستباح لجميع الرجال كالبهيمة تمامًا؟؟ والله إننا لنظلم البهيمة؛ لأن الجنس عند البهائم منظم وله وقت محدد، أما عند الغرب فالجنس مستباح في أي وقت ومع أي شخص، ولذلك تولد عندهم البرود العاطفي واختفت الغيرة من مجتمعاتهم، بالله عليكم أهذا هو التحضر والرقي؟ إذا كان هذا هو الرقي فلا نريده ولا نؤمن به، ونتمنى أن نكون على ديننا الحنيف الذي يدعو إلى الطهارة والعفة، ويحافظ على شرف أتباعه.

الليبرالية والعلمانية وقصة الحمارين:

يُذكر أن فلاحًا كان يمتلك حمارين، قرر في يوم من الأيام أن يُحمّل على أحدهما ملحًا والآخر صحونًا وأواني، انطلق هذان الحماران بحمولتهما، وفي منتصف الطريق شعر صاحب الملح بأنه مظلوم حيث إن كمية الملح كانت أكثر وأثقل من الأواني الفارغة، وفرح صاحب القدور والصحون بحمولته حيث كانت أقل وأخف، على كل حال قرر صاحب الملح من شدة الإعياء أن ينغمس في بركة من الماء كانت بجوار الطريق؛ كي يستعيد قواه التي خارت من وطأة الملح، فلما خرج من البركة شعر كأنه بُعث حيًّا خفيفًا من جديد، فقد ذاب الملح المُحمل على ظهره في البركة وخرج نشيطًا كأن لم يمسه ملح من قبل، فلما رأى صاحب الأواني والصحون ما حدث لصاحبه من النشاط قفز بحمولته في البركة لينال ما نال صاحبه، فامتلأت

الاواي والصحون ماءً، فلما أراد أن يخرج من البركة كاد ظهره أن ينقسم قسمين من ثقل الأواني المُحمّلة بالماء.

هذه القصة التي تدعو إلى عدم التقليد الأعمى كانت مقررة على الطلاب في المرحلة الابتدائية في بعض الدول العربية، والعبرة من هذه القصة - كما هو ظاهر - أن يتعلم الطالب في مرحلة متقدمة من عمره بأن لا يقلد غيره، بل عليه أن يُعمل عقله وفكره قبل أن يُقدم على اتخاذ قرار مهما كان هذا القرار تافهًا ولو كان القفز في بركة ماء، وإن لم يُعمل عقله وفكره واكتفى بتقليد غيره فسيصيبه ما أصاب صاحب الأواني. والآن نسقط هذه القصة على أرض الواقع: عاشت أوروبا فترة من الزمن في ظلام دامس من الجهل والتخلف والتحجر الفكري ونحو ذلك، في نفس هذه الفترة عاش العالم الإسلامي فترة من التقدم والنور والحضارة والمدنية وازدهار العلم والمعرفة؛ لأنه كان يسير في اتجاه واحد وهو اتجاه شرع الله فقط. وبينما كانت سائر بلدان أوروبا تتمرغ في القذر والحطة نعمت إسبانيا (الأندلس) بمدن نظيفة منظمة ذات شوارع معبدة ومضاءة. وكانت قرطبة وحدها تعتز بنصف مليون من السكان، وسبعمائة مسجد، وثلاثمائة حمام عمومي، وسبعين مكتبة عامة، وعدد كبير من دكاكين الورّاقين (المكتبات التجارية).

وها هنا نقطة جوهرية وهامة جدًّا، إن سبب تخلف أوروبا في تلك الفترة هو "الدين النصراني المُحرّف" وحكم الكنيسة وقيودها على الناس، وسبب ازدهار العالم الإسلامي وتقدمه هو الدين الحنيف الذي جاء به سيد الأولين والآخرين ﷺ، يقول موريس بوكاي "إن الإسلام قد اعتبر دائمًا أن الدين والعلم توأمان متلازمان. فمنذ البدء كانت العناية بالعلم جزءًا لا يتجزأ من الواجبات التي أمر بها الإسلام. وأن تطبيق هذا الأمر هو الذي أدى إلى ذلك الازدهار العظيم للعلوم في عصر الحضارة

الإسلامية، تلك التي تعلم ونهل منها الغرب نفسه قبل عصر النهضة في أوروبا".

في هذه الفترة شعرت أوروبا أنها بحاجة إلى مثل هذا الازدهار والتقدم الذي يعيشه العالم الإسلامي، فبدأ الطلاب الأوروبيون يتوافدون على منارات العلم في العالم الإسلامي كقرطبة وبغداد وغيرهما، ومن هناك تعلموا فنون العلم كالرياضيات والفلك والطب، ومن هناك تعلموا البحث العلمي التجريبي، ومن هناك تعلموا إعمال العقل والفكر والمنطق وإجراء التجارب واستنباط النتائج "ليس هناك من شك في أن روح البحث العلمي الجديد وطريقة الملاحظة والتجربة اللذين أخذت بهما أوروبا إنما جاءا من اتصال الطلاب الغربيين بالعالم الإسلامي".

وبعد فأن تعلم الأوروبيون هذه العلوم رجعوا إلى أوروبا لينهضوا بها وينقذوها من الطين الذي تتمرغ فيه، كما نهض العالم الإسلامي بفضل دينهم القويم، ولكن هؤلاء واجهتهم عقبة كئود وصخرة صمَّاء، تلكم هي "الكنيسة المتمسكة بتعاليم الإنجيل المُحرّفة"، فتسلطت الكنيسة على هؤلاء تقتيلًا وتشريدًا، وحكمت عليهم بالهرطقة والكفر، وأقامت لهم المحاكم شنقًا وسجنًا وسحلًا في الطرقات وغير ذلك من ألوان العذاب والتنكيل، ولكن قاوم هؤلاء أشد المقاومة واشتدت المعركة بين العلم والفكر والمنطق والتجربة وبين الدين المُحرف المتمثل في الكنيسة وأغلالها. وبعد معركة طويلة ودامية دفع فيها كثير من العلماء والمفكرين أرواحهم انتصر العلم والفكر والمعرفة على "الدين النصراني المُحرّف"، وبعد هذه الهزيمة الساحقة التي مُني بها رجال الدين انحسرت "النصرانية المُحرّفة" في الكنيسة فقط بعد أن كانت مسيطرة على كل شيء في حياة النصارى، وبعد هذا الانتصار قرر العلماء والمفكرون وأهل العقل في أوروبا فصل الدين عن العلم، بناء على ذلك صار الذي يتكلم عن الدين في الأوساط العلمية كالجامعات وغيرها يُنظر إليه بعين الاحتقار والازدراء

واللعن أحيانًا!. يقول موريس بوكاي في نفس الكتاب "ولقد كان لا بد – بعد عصر النهضة – من أن تكون ردة الفعل الطبيعية للعلماء وهي الثأر لأنفسهم من خصوم الأمس(الكنيسة). وتتابع ذلك حتى أيامنا هذه حتى أصبح من يتكلم الآن عن الله في الغرب في وسط علمي يجد نفسه معزولًا حقيقة. ولقد كان لهذا الموقف انعكاسات على جميع الأفكار الشابة التي تتلقى تعاليمنا الجامعية بما فيهم المسلمون".

بعد ذلك أصاب العالم الإسلامي نكبات عظيمة، وابتعد المسلمون عن دينهم الذي كان مصدر قوتهم العلمية والمعرفية والسياسية والعسكرية وغير ذلك، فتسلط عليهم المستعمر الأوروبي وغيره، ثم لما خرج المستعمر من العالم الإسلامي زرع أتباعه في كل مفصل حيوي من مفاصل العالم الإسلامي وخاصة التعليم، فأحل هؤلاء الأتباع قومهم دار البوار ونشروا موبيقات الغرب في العالم الإسلامي، ونتج عن ذلك أن انتشر الجهل والظلام في طول العالم الإسلامي وعرضه، في تلك الفترة كانت أوروبا قد ازدهرت بالعلم والمعرفة المأخوذة من العالم الإسلامي والذي كما قلنا كان بسبب الدين الإسلامي الذي يدعوهم ويحثهم على العلم والمعرفة.

بدأت أوروبا – بدلًا عن العالم الإسلامي وللأسف – لتكون محط أنظار طلاب العلم وقبلة الباحثين، والعجيب أن من هؤلاء الباحثين أبناء المسلمين أنفسهم الذين كانوا أرباب هذا الفن وصانعي هذا المجد ألا وهو العلم والمعرفة، ووجد المسلمون – الطلاب – في أوروبا البحث العلمي والجامعات والمجلات العلمية والتطور في كل مجال من مجالات الحياة، ووجدوا أيضًا أن الدين لا مكان له في هذه المؤسسات العلمية، بل كما قلنا من تكلم باسم الدين في المؤسسات العلمية الغربية يُنظر إليه بعين الازدراء والاحتقار (وهنا أرجو أن تتذكر أخي المسلم الكريم صاحب الأواني والصحون في القصة السابقة) عندئذ رجع بعض طلاب المسلمين إلى بلادهم وهم

يحملون شهادات علمية في حقائبهم و"أواني وصحون" فوق ظهورهم، وذلك أن هؤلاء صاروا ينادون بجعل الدين الإسلامي الحنيف في المسجد فقط! (مثل مشركي قريش عندما طلبوا من رسول الله أن يعبد أصنامهم عامًا ويعبدوا الله عامًا) كما جعلت أوروبا الدين المحرف في الكنيسة، بل يجب إقصاء الإسلام عن الحياة حتى نتقدم كما تقدمت أوروبا!، وقالوا أيضًا العلم والمعرفة والبحث التجريبي والإستدلال المنطقي واستخلاص النتائج يتعارض تمامًا مع الدين الإسلامي! ولم يُكلف هؤلاء أنفسهم لحظة واحدة من التفكير قبل أن يُقلدوا الغربيين في نبذهم لذلك "الدين المُحرف"، فإذا كان "الدين النصراني المحرف" وقف موقف العداء من العلم والمعرفة، فهل الإسلام دعا يومًا إلى نبذ العلم والمعرفة؟! ولكن هكذا هي أخي الكريم ثقافة صاحب "الصحون".

يقول موريس بوكاي: "إن الإسلام قد اعتبر دائمًا أن الدين والعلم توأمان متلازمان". بل كان الدين هو الباعث الحثيث لطلب العلم والنهوض بالأمة الإسلامية، بل كان الدين الحنيف هو سبب نهضة أوروبا الحديثة كما أسلفنا، ففي الوقت الذي كان فيه الدين مهيمنًا على شؤون الحياة، من آداب الأكل والشرب إلى شؤون الدولة والقضاء كان عالمنا الإسلامي يزخر بالعلماء والمفكرين والأدباء ونحوهم. يقول موريس بوكاي في نفس الكتاب أيضًا ... ولهذا كان الناس يذهبون إليها – في قرطبة – من مختلف البلدان الأوروبية للدراسة كما يذهبون في أيامنا هذه لإتمام بعض الدراسات في الولايات المتحدة. وكم من مخطوطات قديمة وصلتنا بواسطة الأدباء العرب الذين حملوا الثقافة إلى البلدان المفتوحة. وكم من دَيْنٍ علينا نحو الثقافة العربية في الرياضيات (الجبر العربي) والفلك والطبيعة (البصريات) وعلم طبقات الأرض وعلم النبات والطب (ابن سينا)... إلخ.

وللمرة الأولى أخذ العلم سمة العالمية في الجامعات الإسلامية. ولقد كان فكر الناس الديني في ذلك العصر أكثر عمقًا منه في هذا الزمن، ولم يمنعهم ذلك من أن يكونوا في نفس الوقت علماء ومؤمنين في وسط إسلامي، ولقد كان العلم توأم الدين، ولم يكن من الواجب أن يكون غير ذلك انتهى. فتأمل أخي الكريم، العلماء الغربيون يقولون بأن الدين الإسلامي والعلم توأمان متلازمان، و"أصحابنا" يقولون "مختلفان"، ومن هنا تعلم أخي الكريم حجم المعاناة التي ابتُلي بها هؤلاء من شدة وطأة "الأواني" التي يحملونها على ظهورهم. وهذا الصنف الأخير قد أخبرنا عنهم النبي ﷺ فقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: **"لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم. قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!!"**. فأوروبا حينما قفزت في مستنقع "فصل الدين عن الحياة" كانت تأنّ من وطأة الكنيسة وأغلالها ومن وطأة الدين المُحرف الذي وقف في وجه تطورها وازدهارها، فلم يكن لها بُدٌ من أن تقفز في هذا المستنقع الأسن، كما أن صاحب "الملح" لم يكن له بُدٌ من القفز في البركة ليُخفف عن نفسه وطأة الملح الذي أثقل كاهله، لكن ما الذي يدعو المسلم لأن يقفز في هذا المستنقع "فصل الدين عن الحياة" وهو بين يديه النور الرباني – الكتاب والسُنَّة – الذي أضاء العالم الإسلامي أولًا ثم أضاء أوروبا ثانيًا؟! اسأل أصحاب "الأواني والصحون" أخي الكريم لعلك تجد عندهم جوابًا، ويا ليتهم قفزوا في ذلك المستنقع وحدهم وتركوا سائر الأمة الإسلامية تسترجع مجدها المفقود، بل يعملون بكل مثابرة وجدية لقيادة الأمة بأسرها ودفعها في ذلك المستنقع الأسن، وهم يحملون "صحونهم" على ظهورهم ألا ساء ما يزرون. وتلخيصًا لهذه القصة يا إخواني وتقريبًا أشير إلى أن من كان يحمل الملح هو الغرب ويشير هذا الملح إلى

تعنت الكنيسة واضطهادها للعلم والعلماء حقدًا منهم على العلم والعلماء، ولذلك كان العلماء محملون بوباء الاضطهاد الكنسي فبحثوا لأنفسهم عن مخرج وطريق يخفف من هذه الأعباء فلجأوا إلى فصل الدين (الكنيسة) عن الحياة مثلما لجأ من يحمل الملح إلى النزول في النهر ليستريح من هذا الثقل فنجحت معهم هذه الفكرة بالفعل؛ لأن الكنيسة كانت خاوية من العلم والدين، بل كانت ضدهما مثلما نجحت فكرة من يحمل الملح في النزول للنهر فذاب الملح وخفف من أثقاله. أما الباحثين العرب الذين ذهبوا إلى أوروبا للدراسة ونهلوا من علمهم وعلمانيتهم وشربوا من هذه العلمانية والليبرالية هؤولاء الباحثون يدينون بدين الإسلام الذي لا ولم يمنعهم من العلم، بل يشجعهم ويجعل العلم من العبادة، بل مدح الله العلماء في القرآن بقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ (فاطر: ٢٨)، إذا هم لا يجدون حرج من العلم ولا يحملون أثقالًا على ظهورهم، بل يحملوا صحونًا وأواني مستعدة لملئها بالعلم. فهم يشبهون تمامًا صاحب الأواني والصحون، فهم لا يحتاجون لأن ينزلوا إلى النهر مثل صاحب الملح. ولكن للأسف وللتقليد الأعمى فقط بدلًا من أن يملؤا صحونهم علمًا ملؤها ليبرالية وعلمانية فأثقلوا ظهورهم ولم يعودوا قادرين على الحركة! وهم الآن لا يريدون أن يغرقوا أنفسهم فقط، بل يريدون أن يغرقوا الأمة الإسلامية بكامله، ولكن هيهات أن للبيت رب يحميه، يحميه بعلمائه المخلصين الموحدين الذين لا يخشون في الله لومة لائم، الذين يحاربون التقليد الأعمى، الذين ينهلون من كتاب الله وسنة رسوله ولا ينهلون ممن لا يستطيعون أن لا يحددوا من آبائهم – أتحدى أن يستطيع عالم من علماء أوروبا أن يجزم جزمًا قاطعًا بأن شخصًا ما هو أباه الحقيقي. يا إخواني أنا أقول هذا الكلام على أناس ليس لديهم غيرة، على أناس ملوا من جنس الرجل والمرأة، فبدأوا يدعون إلى جنس المثلين، فهل هؤلاء

جديرون بالتقليد؟ هل أقلد أناس لا يستحيون أن يمارسوا الفاحشة في الطرقات؟! أين عقولكم، أين قلوبكم؟ إن في دينكم الكفاية عن التقليد، إن في دينكم الكفاية عن أمريكا وعن الغرب. ولكن الدين الإسلامي تراه ببصيرتك وقلبك ولا تراه بعينك. ديننا الإسلام يحتاج إلى بصيرة نافذة عندئذ سينصرنا الله وسيفتح علينا ويمكننا في الأرض، فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله.

- **الماسونية:**

الماسونية لغة: معناها البناءون الأحرار، وهي في الاصطلاح: منظمة يهودية سرية هدّامة، إرهابية غامضة، محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم، وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد، وتتستر تحت شعارات خداعة (حرية – إخاء – مساواة – إنسانية). جل أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم، من يوثقهم عهدًا بحفظ الأسرار، ويقيمون ما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام لتكوين جمهورية ديمقراطية لا دينية عالمية – كما يدعون ويوهمون أنفسهم .!!!!!

التأسيس وأبرز الشخصيات:

لقد أسسها هيرودس أكريبا سنة ٤٤م وهو ملك من ملوك الرومان بمساعدة مستشاريه اليهوديين.

– حيران أبيود: نائب الرئيس.

– موآب لامي: كاتم سر أول.

ولقد قامت الماسونية منذ أيامها الأولى على المكر والتمويه والإرهاب، حيث

اختاروا رموزًا وأسماءً وإشاراتٍ للإيهام والتخويف، وسموا محفلهم (هيكل أورشليم) للإيهام بأنه هيكل سليمان عليه السلام.

قال الحاخام لاكويز: الماسونية يهودية في تاريخها ودرجاتها وتعاليمها، وكلمات السر فيها يهودية من البداية إلى النهاية.

أما تاريخ ظهورها، فقد اختلف فيه لتكتمها الشديد، والراجح أنها ظهرت سنة ٤٣م. وسميت القوة الخفية وهدفها في البداية كان التنكيل بالنصارى واغتيالهم وتشريدهم ومنع دينهم من الانتشار.

كانت تسمى في عهد التأسيس (القوة الخفية)، ومنذ بضعة قرون تسمت بالماسونية، تلك هي المرحلة الأولى. أما المرحلة الثانية للماسونية فبدأت سنة ١٧٧٠م عن طريق آدم وايزهاويت المسيحي الألماني الذي ألحد واستقطبته الماسونية ووضع الخطة الحديثة للماسونية بهدف السيطرة على العالم وانتهى المشروع سنة ١٧٧٦م، ووضع أول محفل في هذه الفترة (المحفل النوراني) نسبة إلى الشيطان الذي يقدسونه. استطاعوا خداع ألفي رجل من كبار السياسة والمفكرون وأسسوا بهم المحفل الرئيسي المسمى بمحفل الشرق الأوسط، وفيه تم إخضاع هؤلاء الساسة لخدمة الماسونية، وأعلنوا شعارات براقة تخفي حقيقتهم فخدعوا كثيرًا من المسلمين.

الأفكار والمعتقدات:

- يعملون على تقويض الأديان.
- يكفرون بالله ورسله وكتبه وبكل الغيبيات، ويعتبرون ذلك خزعبلات وخرافات.
- العمل على تقسيم غير اليهود إلى أمم متنابذة تتصارع بشكل دائم.

- العمل على إسقاط الحكومات الشرعية وإلغاء أنظمة الحكم الوطنية في البلاد المختلفة والسيطرة عليها.
- إباحة الجنس واستعمال المرأة كوسيلة للسيطرة، و تهديم المبادئ الأخلاقية والفكرية والدينية. ونشر الفوضى والانحلال والإرهاب والإلحاد.
- تسليح هذه الأطراف(العميلة) وتدبير حوادث لتشابكها.
- بث سموم النـزاع داخل البلد الواحد، وإحياء روح الأقليات الطائفية العنصرية.
- استعمال الرشوة بالمال والجنس مع الجميع وخاصة ذوي المناصب الحساسة لضمهم لخدمة الماسونية، والغاية عندهم تبرر الوسيلة.
- إحاطة الشخص الذي يقع في حبائلهم بالشباك من كل جانب لإحكام السيطرة عليه وتسييره كما يريدون ولينفذ صاغرًا كل أوامرهم.
- الشخص الذي يلبي رغبتهم في الانضمام إليهم يشترطون عليه التجرد من كل رابط ديني أو أخلاقي أو وطني، وأن يجعل ولاءه خالصًا للماسونية.
- إذا تململ الشخص أو عارض في شيء تدبر له فضيحة كبرى، وقد يكون مصيره القتل.
- كل شخص استفادوا منه ولم تعد لهم به حاجة يعملون على التخلص منه بأية وسيلة ممكنة (مثل بعض الحكام العرب الآن).
- العمل على السيطرة على رؤساء الدول لضمان تنفيذ أهدافهم التدميرية (كل مرحلة لها الحكام الذين ينفذون الخطط وربما دون أن يعلموا).

- السيطرة على الشخصيات البارزة في مختلف الاختصاصات.
- السيطرة على أجهزة الدعاية والصحافة والنشر والإعلام واستخدامها كسلاح فتاك شديد الفاعلية.
- بث الأخبار المختلفة والأباطيل والدسائس الكاذبة حتى تصبح كأنها حقائق لتحويل عقول الجماهير وطمس الحقائق أمامهم.
- دعوة الشباب والشابات إلى الانغماس في الرذيلة، وتوفير أسبابها لهم وإباحة الاتصال بالمحارم، وتوهين العلاقات الزوجية، وتحطيم الرباط الأسري.
- الدعوة إلى العقم الاختياري، وتحديد النسل لدى المسلمين.
- السيطرة على المنظمات الدولية بترؤسها من قبل أحد الماسونيين كمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، ومنظمات الأرصاد الدولية، ومنظمات الطلبة والشباب والشابات في العالم.

لهم درجات ثلاث:

١. العمي الصغار: والمقصود بهم المبتدئون من الماسونيين.

٢. الماسونية الملوكية: وهذه لا ينالها إلا من تنكر كليًّا لدينه ووطنه وأمته، وتجرد لليهودية، ومنها يقع الترشيح للدرجة الثالثة والثلاثون كتشرشل وبلفور، ورؤساء أمريكا.

٣. الماسونية الكونية: وهي قمة الطبقات، وكل أفرادها يهود، وهم أحاد، وهم فوق الأباطرة والملوك والرؤساء لأنهم يتحكمون فيهم، وكل زعماء الصهيونية من الماسونية الكونية كهرتزل، وهم الذين يخططون للعالم

لصالح اليهود.

يتم قبول العضو الجديد في جو مرعب مخيف وغريب حيث يقاد إلى الرئيس معصوب العينين، وما أن يؤدي يمين حفظ السر ويفتح عينيه حتى يفاجأ بسيوف مسلولة حول عنقه وبين يديه كتاب العهد القديم، ومن حوله غرفة شبه مظلمة فيها جماجم بشرية وأدوات هندسية مصنوعة من خشب ... وكل ذلك لبث المهابة في نفس العضو الجديد.

هي كما قال بعض المؤرخين: «آلة صيد بيد اليهودية يصرعون بها الساسة ويخدعون عن طريقها الأمم والشعوب الجاهلة».

والماسونية وراء عدد من الويلات التي أصابت الأمة الإسلامية، ووراء جل الثورات التي وقعت في العالم: فكانوا وراء إلغاء الخلافة الإسلامية وعزل السلطان عبد الحميد، كما كانوا وراء الثورة الفرنسية والبلشفية والبريطانية.

تشترط الماسونية على من يلتحق بها التخلي عن كل رابطة دينية أو وطنية أو عرقية.

حقائق الماسونية لا تُكشَف لأتباعها إلا بالتدريج حين يرتقون من مرتبة إلى مرتبة وعدد المراتب ثلاث وثلاثون.

يحمل كل ماسوني في العالم فرجارًا صغيرًا وزاوية لأنهما شعار الماسونية منذ أن كانا الأداتين الأساسيتين اللتين بنى بهما سليمان الهيكل المقدس بالقدس كما يقولون.

يردد الماسونيون كثيرًا كلمة «المهندس الأعظم للكون» ويفهمها البعض على أنهم يشيرون بها إلى الله – سبحانه وتعالى – والحقيقة أنهم يعنون «حيرامًا» إذ هو مهندس الهيكل، وهذا هو الكون في نظرهم.

الجذور الفكرية والعقائدية:

جذور الماسونية يهودية صرفة، من الناحية الفكرية ومن حيث الأهداف والوسائل وفلسفة التفكير. وهي بضاعة يهودية أولًا وآخرًا، وقد اتضح أنهم وراء الحركات الهدامة للأديان والأخلاق. وقد نجحت الماسونية بواسطة جمعية الاتحاد والترقي في تركيا في القضاء على الخلافة الإسلامية، وعن طريق المحافل الماسونية سعى اليهود في طلب أرض فلسطين من السلطان عبد الحميد الثاني، ولكنه رفض – رحمه الله – وقد أغلقت محافل الماسونية في مصر سنة ١٩٦٥م بعد أن ثبت تجسسهم لحساب إسرائيل.

الانتشار ومواقع النفوذ:

لم يعرف التاريخ منظمة سرية أقوى نفوذًا من الماسونية، وهي من شر مذاهب الهدم التي تفتق عنها الفكر اليهودي. ويرى بعض المحققين أن الضعف قد بدأ يتغلل في هيكل الماسونية وأن التجانس القديم في التفكير وفي طرق الانتساب قد تداعى.

خلاصة الماسونية:

أن الماسونية تعادي الأديان جميعًا، وتسعى لتفكيك الروابط الدينية، وهز أركان المجتمعات الإنسانية، وتشجع على التفلت من كل الشرائع والنظم والقوانين. وقد أوجدها حكماء صهيون لتحقيق أغراض التلمود وبروتوكولاتهم، وطابعها التلون والتخفي وراء الشعارات البراقة، ومن والاهم أو انتسب إليهم من المسلمين فهو ضالٍ أو منحرفٍ أو كافرٍ، حسب درجة ركونه إليهم.

وقد أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر بيانًا بشأن الماسونية والأندية التابعة لها، مثل: الليونز والروتاري جاء فيه:

«يحرم على المسلمين أن ينتسبوا لأندية هذا شأنها وواجب المسلم ألا يكون إمعة يسير وراء كل داعٍ ونادٍ، بل واجبه أن يمتثل لأمر رسول الله ﷺ، حيث يقول: «لا يكن أحدكم إمعة يقول: إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم» وواجب المسلم أن يكون يقظًا لا يغرر به، وأن يكون للمسلمين أنديتهم الخاصة بهم، ولها مقاصدها وغاياتها العلنية، فليس في الإسلام ما نخشاه ولا ما نخفيه، والله أعلم.

رئيس الفتوى بالأزهر: عبد الله المنشد

- **الاشتراكية (ذراع آخر):**

وهذا ذراع آخر للأخطبوط ياعزيزي القاريء وهو الاشتراكية، ولن أطيل عليك لكي لا تمل من القراءة فسأكتفي بهذه الوثيقة: وثيقة شيوعية للقضاء على الإسلام من كتاب الغزو الثقافي يمتد في فراغنا لمحمد الغزالي. وبالرغم من أنها وثيقة قديمة منذ زمن الاتحاد السوفييتي إلا أنها تعبر عن المفاهيم والأحقاد التي يكنها الاشتراكيون ضد الإسلام سواء كانوا هؤلاء الاشتراكيين ليسوا مسلمين فهم أعداء بطريق مباشرة للإسلام. وأما الاشتراكييون المسلمون فهم أعداء للإسلام بطريقة غير مباشرة، فإن كانوا لا يعلمون فتلك مصيبة، وإن كانوا يعلمون فالمصيبة أعظم !!!!!!!

تقول الوثيقة: برغم مرورخمسين سنة تقريبًا على الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي، وبرغم الضربات العنيفة التي وجهتها أضخم قوة اشتراكية في العالم إلى الإسلام؛ فإن الرفاق الذين يراقبون حركة الدين في الاتحاد السوفييتي صرحوا كما تذكر مجلة « العلم والدين» الروسية في عددها الصادر في أول يناير «كانون الثاني» ١٩٦٤م بما نصه:

«إننا نواجه في الاتحاد السوفييتي تحديات داخلية في المناطق الإسلامية، وكأن مبادئ "لينين" لم تتشربها دماء المسلمين».

«وبرغم القوى اليقظة التي تحارب الدين، فإن الإسلام ما يزال يرسل إشعاعًا وما يزال يتفجر بالقوة بدليل أن الملايين من الجيل الجديد في المناطق الإسلامية يعتنقون الإسلام ويجاهرون بتعاليمه مع أن قادة الحزب ومفكري المذهب لا يغيب عنهم خطر يقظة الإسلام في المناطق الإسلامية بالاتحاد السوفييتي الذي أشار في "دائرة معارف الثقافة الشيوعية" إلى أن الإسلام أخطر الأديان الرجعية، ويبذل أقصى جهده ليكون في خدمة المستغلين، والإقطاعيين، والرأسماليين، ويقدم كل العون للإستغلال، وهو دين جامد حقود على الحضارة والتقدم، وخصم عنيد للاشتراكية ويناهض الحركة التحررية».

وتقول الوثيقة: ومن هذا المخطط، أن يتخذ الإسلام نفسه أداة لهدم الإسلام نفسه، وقررنا ما يلي:

- مهادنة الإسلام لتتم الغلبة عليه، والمهادنة لأجل، حتى نضمن أيضًا السيطرة، ونجتذب الشعوب العربية للاشتراكية.
- تشويه سمعة رجال الدين والحكم المتدينين، واتهامهم بالعمالة للاستعماروالصهيونية.
- تعميم دراسة الاشتراكية في جميع المعاهد والكليات والمدارس في جميع المراحل، ومزاحمة الإسلام ومحاصرته حتى لا يصبح قوة تهدد الاشتراكية.
- الحيلولة دون قيام حركات دينية في البلاد مهما كان شأنها ضعيفًا، والعمل الدائم بيقظة لمحو أي انبعاث ديني، والضرب بعنف لا رحمة فيه كل من

يدعو إلى الدين ولو أدى إلى الموت.

- ومن هذا لا يغيب عنا أن للدين دوره الخطير في بناء المجتمعات، ولذا وجب أن نحاصره من كل الجهات وفي كل مكان وإلصاق التهم به، وتنفير الناس منه بالأسلوب الذي لا ينم عن معاداة للإسلام.
- تشجيع الكتاب الملحدين وإعطاؤهم الحرية كلها في مهاجمة الدين، والشعور الديني، والضمير الديني، والعبقرية الدينية، والتركيز في الإذهان أن الإسلام انتهى عصره، وهذا هو الواقع، ولم يبق منه اليوم إلا العبادات التشكيلية التي هي الصوم، والصلاة، والحج، وعقود الزواج، والطلاق، وستخضع هذه العقود للنظم الاشتراكية.
- قطع الروابط الدينية بين الشعوب قطعًا تامًّا، وإحلال الرابطة الاشتراكية محلا للرابطة الإسلامية التي هي أكبر خطر على اشتراكيتنا العالمية.
- إن فصم روابط الدين، ومحو الدين لا يتمان بهدم المساجد والكنائس؛ لأن الدين يكمن في الضمير، والمعابد مظهر من مظاهر الدين الخارجية، والمطلوب هو هدم الضميرالديني، ولم يصبح صعبًا هدم الدين في ضمير المؤمنين به بعد أن نجحنا في جعل السيطرة والحكم والسيادة للاشتراكية ... ونجحنا في تعميم ما يهدم الدين من القصص والمسرحيات والمحاضرات والصحف والأخبار والمؤلفات التي تروج للإلحاد، وتدعو إليه، وتهزأ بالدين ورجاله وتدعو للعلم وحده، وجعله الإله المسيطر.
- مزاحمة الوعي الديني، وطرد الوعي الديني بالوعي العلمي.
- خداع الجماهير بأن نزعم لها بأن المسيح اشتراكي، وإمام الاشتراكية، فهو فقير،

ومن أسرة فقيرة، وأتباعه فقراء كادحون، ودعا إلى محاربة الأغنياء، ونقول عن محمد: إنه إمام الاشتراكيين فهو فقير، وتبعه فقراء، وحارب الأغنياء المحتكرين، والإقطاعيين، والمرابين، وثار عليهم، وعلى هذا النحو يجب أن نصور الأنبياء والرسل، ونبعد القداسات الروحية، والوحي والمعجزات عنهم بقدر الإمكان لنجعلهم بشرًا عاديين حتى يسهل علينا القضاء على الهالة التي أوجدوها لأنفسهم، وأوجدها لهم أتباعهم المهوّسون.

- في التوراة والقرآن والإنجيل قصص، ولئلا نصطدم بشعور الجماهير الديني ونثيرهم على الاشتراكية يجب أن نفسر تلك القصص الدينية تفسيرًا ماديًّا وتاريخيًّا، فقصة يوسف – على سبيل المثال – يمكن تفسيرها تفسيرًا ماديًّا وتاريخيًّا، وما فيها من جزيئات يمكن أن نفيد منها في تعبئة الشعور العام ضد الرأسماليين والإقطاعيين، والنساء الشريفات، والحكام الرجعيين
- إخضاع جميع القوى الدينية للنظام الاشتراكي ، وتجريد هذه القوى تدريجيًّا من موجداتها.
- إشغال الجماهير بالشعارات الاشتراكية، وعدم ترك الفرصة لهم للتفكير، وإشغالهم بالأناشيد الحماسية والوطنية، والأغاني الوطنية، والشئون العسكرية، والتنظيمات الحزبية، والمحاضرات المذهبية، والوعود المستمرة برفع الإنتاج ومستوى المعيشة، وإلقاء مسئولية التأخر الاقتصادي والجوع والفقر والمرض ... على الرجعية والاستعمار، والإقطاع، وعلماء الدين.
- تحطيم القيم الدينية، والروحية، بإظهار ما فيها من خلل وعيوب وتحذير القوى المناهضة.

- الهتاف الدائم ليل نهار وصباح مساء بالثورة، وإن الثورة هي المنقذ الأول والأخير للشعوب من حكامها الرجعيين، والهتاف للاشتراكية بأنها هي الجنة الموعود بها جماهير الشعوب الكادحة.
- نشر الأفكار الإلحادية، بل نشر كل فكرة تضعف الشعور الديني والعقيدة الدينية، وزعزعة الثقة في الدين في كل قطر إسلامي.
- لا بأس من استخدام الدين لهدم الدين، ولا بأس من أداء الزعماء الاشتراكيين بعض الفرائض الدينية الجماعية للتضليل والخداع على ألا يطول زمن ذلك، لأن القوى الثورية يجب ألا تظهر غير ما تبطن إلا بقدر، ويجب أن تختصر الوقت والطريق لتضربضربتها، فالثورة قبل كل شيء هدم للقديم والمواريث الدينية جميعها.
- الإعلان بأن الاشتراكيين يؤمنون بالدين الصحيح لا بالدين الزائف الذي يعتنقه الناس لجهلهم والدين الصحيح هو الاشتراكية، والدين الزائف هو الأفيون الذي يخدرالشعوب لتنساق وتُسخّر لخدمة طبقة معينة، وإلصاق كل عيوب الدراويش، وخطايا علماء الدين بالدين نفسه، وترويج الإلحاد، وإثبات أن الدين خرافة، والخرافة تكمن في الدين الزائف لا الدين الصحيح الذي هو الاشتراكية.
- تسمية الإسلام الذي تؤيده الاشتراكية لبلوغ مأربها، وتحقيق غاياتها بالدين الصحيح، والدين الثوري والدين المتطور، ودين المستقبل ... حتى يتم تجريد الإسلام الذي – جاء به محمد ﷺ – من خصائصه ومعالمه والاحتفاظ منه بالاسم فقط؛ لأن العرب إلا القليل مسلمون بطبيعتهم فليكونوا الآن

مسلمين اسمًا، اشتراكيين فعلًا، حتى يذوب الإسلام لفظًا كما ذاب المعنى.

- أخذنا بتعاليم «لينين» ووصيته بأن يكون الحزب الاشتراكي خصمًا عنيدًا للدين، ويحارب فكرته، فالمنتظر ما بعد الموت بالفردوس، التي تحقق الاشتراكية العلمية التي تحقق العدالة الاجتماعية التي هي الفردوس، وإذا وجد من الضروري مهادنة الدين وتأييده وجب أن تكون المهادنة لأجل، والتأييد بحذر، على أن يستخدم التأييد والمهادنة لمحو الدين.
- الاهتمام بالإسلام مقصود منه: أولًا – استخدام الإسلام في تحطيم الإسلام. ثانيًا – استخدام الإسلام للدخول إلى شعوب العالم الإسلامي، ومع أن القوى الرجعية في العالم العربي والإسلامي قوى يقظة إلا أن الخطة التي اتخذناها ستضعف هذه القوى حتى تجردها من عناصر احتفاظها بمقوماتها فتذوب على مر الأيام.
- وباسم تصحيح المفاهيم الإسلامية، وتنقيته الشوائب، وتحت ستار الإسلام يتم القضاء عليه أن نستبدل به الاشتراكية.

أأدركت عزيزي القارئ: كيف يحارب الإسلام بالإسلام؟ وكيف يستخدمون أناس من جلدتنا كما أخبر بذلك رسول الله، هل بعد ذلك كله ننكر أن هناك طرف ثالث في الثورات العربية؟ وهل بعد الاعترافات منهم ما زلنا سنتشدق بفضل الأعلام العملاء؟ هل هناك من شك الآن أن الإسلام مستهدف؟ وهل هناك من شك الآن من أن هذه الثورات ما هي إلا مسامير في نعش الإسلام؟ هذا النعش الذي سيحملهم هم إلى جهنم وسيبقي الإسلام لأن الله هو من تكفل بحفظه، ولذا بفضل الله سارت الثورات بعكس ما خططوه للإسلام، صحيح هم نجحوا في

إضعاف البلاد العربية وإنهاكها اقتصاديًّا، وصحيح أنهم نجحوا في الإتيان ببعض العملاء في الحكومات الجديدة، ولكن في النهاية لم ولن تسقط شريعة الله – والله يا إخواني أنا على يقين أنه حتى لو تهاون المسلمون أنفسهم في تطبيق شريعة الله فَسَيُسَخِّر الله أناس – ولو قلة قليلة – لعزة ورفعة هذه الشريعة؛ لأن الأمة الإسلامية قوية بكلام الله وليست قوية بأفعال البشر مثل الأمم السابقة التي تأتي وتزول لأن البشر يفنون أما كلام الله باقي لن يزول ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص: ٨٨) فالأمة الإسلامية تمرض ولا تموت – فنسأل الله الشفاء العاجل لأمتنا من مرضها وأن تبقى الشريعة الإسلامية خنجرًا في ظهر أعدائها إلى يوم القيامة إنه ولي ذلك والقادر عليه.

تحذير القرآن من اليهود:

ربما يسأل سائل يا إخواني، هل هؤلاء الشراذم المنتشرين في الأرض يستحقون كل هذا الاهتمام لدرجة أننا نسلط عليهم كل هذه الأضواء، ولدرجة أننا نلصق بهم كل خراب يحدث بأي بقعة في العالم؟؟؟ ويري آخرون أننا نبالغ في أعطائهم كل هذا الذكاء الذي لا يستحقونه. وأنا أقول لإخواني، وهل من العجب أن نهتم ونتعمق في دراسة فئة قد حذرنا الله منها؟ ثم أسألكم يا إخواني بالله عليكم، لماذا اهتم الله – سبحانه وتعالى – بذاته بهؤلاء الشرذمة؟؟ ولماذا ذكر الله في قرآنه أفعالهم بهذا التفصيل؟؟ ولماذا حذرنا الله في كتابه العزيز من هؤلاء الشرذمة؟؟ ألا يستدعي تنبيه من خلقهم أن ننتبه نحن المخلوقين لتنبيه خالقنا وتحذيره لنا؟؟ يا إخواني إن الله هو خالقهم وهو أعلم بهم منا، وكان يكفيه – سبحانه وتعالى – أن يحذرنا منهم بدون أدلة، ولكن العجب العجاب أن الله قدم لنا الأدلة على أفعالهم، وهل نحن نستحق أصلًا أن يقدم لنا الله أي دليل على أي شيء؟ إن الله ما قدم لنا الدليل على فحش أفعالهم إلا لأن

هؤلاء القوم من الخطورة بمكان ومن الخبث بمكان، فنحن في تتبعنا لهؤلاء الخبثاء إنما نحذوا حذو ربنا في نصح العالم العربي، وأنا لن أقول في هذا الباب من كلامي ولكن من كلام رب العالمين، وما ذكره تعالى في قرآنه الكريم عن هؤلاء. فنذكر في هذه الرسالة خصال اليهود التي أوجبت عليهم سخط الله ورسوله والمؤمنين، فنقول: "إن الله – سبحانه وتعالى – قضى على اليهود بتسعة أشياء ذكرها في القرآن الكريم:- أولها: الذلة. وثانيها: المسكنة. وثالثها: المسخ. ورابعها: اللعنة. وخامسها: الغضب. وسادسها: الإصر. وسابعها: الأغلال. وثامنها: أنه لا تقوم لهم دولة، بل يكونون تحت حكومة الإسلام. وتاسعها: البغضاء بينهم.

كما قال تعالى: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ٦١).

وفي هذه الآية ذكر الله – عز وجل – أربعة أسباب لسخط الله عليهم وهي: كفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء، وعصيانهم ثم اعتداؤهم؛ **لذلك استحقوا الذلة والمسكنة والغضب من الله**، وهذه ثلاثة أشياء من التسعة المذكورة التي قضى الله بها على اليهود. وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (المائدة:٦٠). وفي هذه الآية ذكر الله **لعنته على اليهود وجعله منهم القردة والخنازير بالمسخ**، وهذان شيئان من التسعة المذكورة التي قضى الله بها على اليهود بسبب عصيانهم وعبادتهم الطاغوت.

وقد أشار القرآن في موضع آخر إلى عقوبتهم بالمسخ فقال: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴾ (الأعراف: ١٦٦). وقد ذكر الله لعنته

لليهود وغضبه عليهم بسبب كفرهم وبغيهم فقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(البقرة:٨٩-٩٠)..

أما الإصر والأغلال التي قضى الله بها عليهم، فأشار إليها القرآن في قوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، وهم اليهود. وقال تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَاۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(الأعراف: ١٥٥ - ١٧٥). **وأما العداوة التي ألقيت بينهم**، فقال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾(المائدة: ٦٤).

فهذه ثمانية أشياء، الذلة، والمسكنة، والمسخ، واللعنة، والغضب، والعداوة، والإصر، والأغلال ذكرت في هذه الآيات من القرآن الكريم.

أما أنه لا تقوم لهم مملكة، وهي الظاهرة التاسعة، فقد قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ

يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (آل عمران: ٥٥).

ومن أجل ذلك، كانت النصارى تتغلب عليهم في كل معركة.

وقال تعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ (آل عمران: ١١٢).

ومعنى ذلك أنه لا عز لهم إلا بالرجوع إلى الحق وبذل الجزية، وهذا هو المراد بحبل من الله وحبل من الناس؛ وسبب ذلك هو كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء، وقد روى أنهم قتلوا ثلاثمائة نبي في أول النهار، ثم أقاموا سوق الخضرة في آخر النهار.

وأيضًا قال الله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ (التوبة: ٢٩).

وهذا دليل عدم قيام دولتهم إطلاقًا.

ونذكر ها هنا الأسباب التي أدت باليهود إلى هذه الذلة، وقد علمت أنهم كفروا بآيات الله، وقتلوا الأنبياء، وعبدوا الطاغوت، وعتوا عما نهوا عنه، وبغوا واعتدوا وعصوا، وكذبوا على الله وطغوا، وأفسدوا فضرب الله عليهم الذلة لذلك، ولن يجعل لهم سلطانًا، وأعد لهم في الآخرة الويل والعذاب.

أما عن الأفعال القبيحة في تاريخ اليهود، فقد ذكرها الله لنا في كتابه العزيز كما يلي:

القبيحة الأولى: أنهم كانوا يؤذون نبيهم موسى عليه السلام؛ وذلك لأنه كان بسبب الحياء لا يغتسل مع بني إسرائيل، فقالوا: أنما لا يغتسل معنا موسى؛ لأنه به برصًا أو مرضًا، فأراد الله أن يبرئه، فاغتسل موسى عليه السلام في خلوة عريانًا، ووضع ثوبه على حجر، فأمر الله الحجر ففر بثوبه، فجعل موسى عليه السلام خلفه يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى وقف على ملأ من اليهود فرأوه أبرأ خلق الله، وقالوا ما به أذى. والله تعالى أعلم.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾ (الأحزاب: ٦٩). وروى أن نبينا ﷺ كان يقسم، فقال رجل: أن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله. فجاء عبد الله بن مسعود فأخبر النبي ﷺ فقال: رحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر.

القبيحة الثانية: أنهم أبوا العمل بالتوراة؛ فرفع الله عليهم جبل الطور، وأخذ عليهم الميثاق الغليظ والعمل به، كما حكى الله تعالى فقال: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٦٣ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ (البقرة: ٦٣ – ٦٤).

القبيحة الثالثة: أنهم قالوا لموسى عليه السلام لن نؤمن حتى نرى الله، كما حكى الله تعالى ذلك عنهم فقال: ﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ (البقرة: ٥٥ – ٥٦).

القبيحة الرابعة: أنهم بدلوا ما أمروا به من دخول باب المسجد سجدًا، وبدلًا من أن يقولوا حطة فقالوا حبة في شعرة، ودخلوا على أستاههم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا

ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾ (البقرة: ٥٨ - ٥٩).

القبيحة الخامسة: أنهم نسبوا إلى نبيهم موسى عليه السلام - حين أمرهم بذبح بقرة في قضية المقتول الذي سألوا عن قاتله - أنه يهزأ، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ (البقرة: ٦٧).

القبيحة السادسة: أنهم كانوا يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله، كما قال الله تعالى: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴾ (البقرة: ٧٩).

القبيحة السابعة: أنهم كانوا يلوون ألسنتهم بالكتاب؛ ليحسب الناس أنه من الكتاب، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٨).

القبيحة الثامنة: أنهم كانوا يحرفون كلام الله كما قال تعالى: ﴿ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٧٥). وقال أيضًا: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ ﴾ (النساء: ٤٦).

القبيحة التاسعة: إن موسى عليه السلام لما ذهب لأخذ التوراة تركوا أخاه هارون عليه السلام واتبعوا السامري، وعبدوا العجل، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ (البقرة: ٥١). وقال أيضًا: ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ (النساء: ١٥٣). وقال أيضًا: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٤٨). وقال أيضًا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٥٢).

القبيحة العاشرة: أنهم قالوا: إن يد الله مغلولة، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (المائدة: ٦٤).

القبيحة الحادية عشرة: أنهم كانوا يقولون: إن الله فقير، كما قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ (آل عمران: ١٨١).

القبيحة الثانية عشرة: أنهم قالوا لنبيهم موسى عليه السلام: اذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا هنا قاعدون، مع أنه ذكرهم بنعم الله عليهم من جعله فيهم أنبياء، وجعلهم ملوكًا وإيتائهم ما لم يؤت أحدًا، وحكى الله عنهم ذلك فقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ

يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۗ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾(المائدة: ٢٠ – ٢٦).

لماذا غضب الله على اليهود ؟؟؟؟

ذكرنا بعض قبائح اليهود التي لعنوا بسببها وضربت عليهم الذلة والمسكنة، وغضب الله عليهم ومسخهم، وحمل عليهم الإصر والأغلال، وأوقع فيهم العداوة والبغضاء، وسلبهم الحكومة والسيادة التي يحاولون الوصول إليها الآن، ولكن هيهات إنه وعد الله غير مكذوب، وكان أكبر هذه الأسباب التي استحقوا بها السخط؛ قتلهم الأنبياء، ونقضهم الميثاق الذي أخذه الله عليهم، وإيذاؤهم لموسى عليه السلام، ورفضهم العمل بالتوراة، وطلبهم رؤية الله جهرة، وتبديلهم ما أمروا به، ونسبتهم الاستهزاء إلى موسى عليه السلام، وعبادتهم العجل، وقولهم إن الله فقير، وأن يده مغلولة.

وكل ذلك ذكره الله في كتابه العزيز، في آيات كثيرات، في مواضع من القرآن متعددة. ونذكر ها هنا قبيحة من قبائحهم، **وهي اغترارهم بالعقيدة الفاسدة، وهي أنه لا تمسهم النار إلا أيامًا معدودة**، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(البقرة: ٨٠ – ٨١).

وقد روى عن مجاهد، أن اليهود كانت تزعم أن الدنيا سبعة آلاف سنة، فالله تعالى يعذبنا سبعة أيام، وحكى الأصم عن بعض اليهود أنهم عبدوا العجل سبعة أيام، فكانوا يقولون أن الله تعالى يعذبنا سبعة أيام.

وكل ذلك من أباطيلهم، وقد رد الله تعالى عليهم بأن وعيده لاحق بالعصاة، وهم أصحاب النار، وأنكر على اليهود أن يكون لديهم عهد بذلك.

وفي موضع آخر يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَـٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (آل عمران: ٢١ - ٢٥).

وقد روى عن أبي عبيدة ابن الجراح أنه قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أشد عذابًا يوم القيامة. قال: رجل قتل نبيًّا، أو رجل أمر بالمنكر ونهى عن المعروف. وقرأ رسول الله هذه الآية، ثم قال: يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيًّا من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مئة رجل واثنا عشر رجلًا من عباد بني إسرائيل، فأمروهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعًا في آخر النهار في ذلك اليوم.

ولذلك، وعدهم الله أشد الوعيد:

الأول: العذاب الأليم وذلك قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (آل عمران: ٢١).

الثاني: حبوط أعمالهم وذلك قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ (آل عمران: ٢٢).

الثالث: قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٢٢).

وقد **ذكر الله بعد ذلك اليهود وعدم احتكامهم إلى كتاب الله وإعراضهم عنه،** ويروى في ذلك عن ابن عباس أن رجلًا وامرأة من اليهود زنيا، وكانا ذوي شرف، وكان في التوراة حد الرجم فرفضوا رجمهما لشرفهما عندهم، فرجعوا في أمرهما إلى النبي محمد ﷺ رجاء أن يكون عنده رخصة في ترك الرجم، فحكم الرسول بالرجم، فأنكروا ذلك. فقال ﷺ: بيني وبينكم التوراة فإن فيها الرجم فمن هو أعلمكم؟ قالوا: عبد الله بن صوريا الفدكي فأتوا به وأحضروا التوراة، فلما أتى على آية الرجم وضع يده عليها، فقال ابن سلام: قد جاوز موضعها يا رسول الله، فرفع كفه عنها، فوجدوا آية الرجم، فأمر النبي ﷺ بهما فرجما فغضبت اليهود (لعنهم الله) لذلك غضبًا شديدًا، فأنزل الله الآية السابقة.

ويروى أيضًا أنه ﷺ دخل مدرسة اليهود وكان فيها جماعة منهم فدعاهم إلى الإسلام فقالوا: على أي دين أنت؟ فقال: على ملة إبراهيم. فقالوا: إن إبراهيم كان يهوديًّا. فقال النبي ﷺ: هلموا إلى التوراة فأبوا ذلك فأنزل الله تعالى في نفس الآية. ويروى كذلك أن النبي ﷺ دعا اليهود إلى التوراة وفيها علامات بعثته والدلائل الدالة على صحة نبوته فأبوا الرجوع إليها فأنزل الله تلك الآية.

فيا للعجب إذا كانوا يرفضون التحاكم لكتابهم فهل سيعترفون بالقرآن وما فيه؟؟!

ومن قبائح اليهود قولهم لموسى عليه السلام لَمَّا أمرهم بدخول الأرض المقدسة: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا

هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ (المائدة: ٢٤). فانظر أيها المسلم إلى حكاية هؤلاء الملعونين، وقارن بين قولهم وقول صحابة رسول الله، قادة هذه الأمة المرحومة وسادتها مع قلة عددهم وعدادهم يوم بدر: يا رسول الله اذهب ونحن معك، نقاتل بين يديك، ومن خلفك، وعن يمينك، وعن يسارك، والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر الأخضر لخضنا. شتان الفرق بين هاتين المقالتين، إن بينهما بعد المشرق والمغرب، فكلمة اليهود كلمة كفر، تكاد السموات يتفطرن منها وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا، وكلمة هذا الصحابي المسلم – القائم عند رسول الله ﷺ الواقف في عدد من المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر – كلمة إسلامية صدرت من صميم القلب المسلم، وتجاوزت السموات السبع حتى بلغت قائمة العرش العظيم، تحوم حولها، وتأخذ الجزاء من رب العرش الكريم، جزاء وافرًا كاملًا يبلّغه درجات عالية، وغرفات غالية في جنة النعيم.

بالله عليكم يا إخواني أناس يقتلون أنبيائهم، ويحرفون كتاب الله، وينقضون الميثاق مع الله، ويعبدون العجل، ويرفضون التوراة، ويتجرئون أن يقولوا لنبيهم اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ماذا تنتظرون من هؤلاء، إنهم فعلوا كل ذلك بعد إرسال الرسل والكتب السماوية إليهم، بمعني أنهم ليس لديهم أي حجةٌ فهل نستبعد من هؤلاء أن يحقدوا على من يلتزم بدينه؟وهل نستبعد من هؤلاء أن ينشروا الفوضى والكراهية والحروب في العالم أجمع، بحجة أنهم هم من سيحكموا العالم؛ لأنهم يعتقدون أنهم شعب الله المختار؟ إن الله لا يميز أحدًا عن أحد، من ينصر الله ينصره الله، وبالرغم من أننا نؤمن بالله وبرسوله وبقرآنه، فإن الله لن ينصرنا إلا إذا أخذنا بالأسباب المؤدية إلى النصر، وهي جهاد أعداء الله ولو بالكلمة، كما قال تعالى لرسوله: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾(الفرقان:

٥٢)؛ أي بالقرآن نفعنا الله به، وجعله نورًا لنا في دنيانا وآخرانا. والله يا إخواني لن نتمكن إلا بالأخذ بدستور الله وحبله المتين، وبشرط ألا نخشى في الله لومة لائم، وألا نخاف على أرزاقنا، فهذه ضمنها الله لنا، فكيف نشتغل بما ضمنه الله لنا ونترك هؤلاء يمشون في الأرض فسادًا. يا إخواني لقد طمئننا الله بأنه ضرب عليهم الذلة والمسكنة، فلماذا الخوف؟ إنهم أجبن مخلوق على وجه الأرض، إنهم لو وجدوا منكم شجاعة ولو بالكلمة سيتقهقرون؛ لأن الله ألقى في قلوبهم الرعب، وللأسف الشيطان ألقى في قلوبنا الوهن، أعاذنا الله من الوهن ومن الشيطان، فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله، إن الله بصير بالعباد.

الحرية في الإسلام:

مفهوم الحرية: يقصد بالحرية: "قدرة الإنسان على فعل الشيء أو تركه بإرادته الذاتية. وهي ملكة خاصة يتمتع بها كل إنسان عاقل، ويصدر بها أفعاله، بعيدًا عن سيطرة الآخرين؛ لأنه ليس مملوكًا لأحد، لا في نفسه، ولا في بلده، ولا في قومه، ولا في أمته."

هل "الحرية" تعني الإطلاق من كل قيد؟

لا يعني بطبيعة الحال، إقرار الإسلام للحرية، أنه أطلقها من كل قيد وضابط؛ لأن الحرية بهذا الشكل أقرب ما تكون إلى الفوضى، التي يثيرها الهوى والشهوة، ومن المعلوم أن الهوى يدمر الإنسان أكثر مما يبنيه، ولذلك منع من اتباعه، والإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه مدني بطبعه، يعيش بين كثير من بني جنسه، فلم يقر لأحد بحرية دون آخر، ولكنه أعطى كل واحد منهم حريته كيفما كان، سواء كان فردًا أو جماعة، ولذلك وضع قيودًا ضرورية، تضمن حرية الجميع، **وتتمثل الضوابط التي وضعها الإسلام للحرية في الآتي:**

أ – ألا تؤدي حرية الفرد أو الجماعة إلى تهديد سلامة النظام العام وتقويض أركانه.

ب – ألا تضيع حقوقًا أعم وأهم منها، وذلك بالنظر إلى قيمتها في ذاتها ورتبتها ونتائجها.

ج – ألا تؤدي حريته إلى الإضرار بحرية الآخرين.

وبهذه القيود والضوابط ندرك أن الإسلام لم يقر الحرية لفرد على حساب الجماعة، كما لم يثبتها للجماعة على حساب الفرد، ولكنه وازن بينهما، فأعطى كلا منهما حقه.

أنواع الحرية:

– الحرية المتعلقة بحقوق الفرد المادية.

– الحرية المتعلقة بحقوق الفرد المعنوية.

الصنف الأول:

الحرية المتعلقة بحقوق الفرد المادية، وهذا الصنف يشمل الآتي:

أ – **الحرية الشخصية**: والمقصود بها : "أن يكون الإنسان قادرًاعلى التصرف في شئون نفسه، وفي كل ما يتعلق بذاته، آمنًا من الاعتداء عليه، في نفسه وعرضه وماله، على ألا يكون في تصرفه عدوان على غيره."

والحرية الشخصية تتضمن شيئين:

١ / **حرمة الذات**: وقد عنى الإسلام بتقرير كرامة الإنسان، وعلو منزلته؛ فأوصى باحترامه وعدم امتهانه واحتقاره، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾(الإسراء: ٧٠)، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ

أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٣٠) وميزه بالعقل والتفكير تكريماً له وتعظيماً لشأنه، وتفضيلاً له على سائر مخلوقاته، وفي الحديث عن عائشة g مرفوعًا – «أول ما خلق الله العقل قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر، ثم قال له ﷻ: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقًا أكرم عليّ منك، بك آخذ، وبك أعطي، وبك أثيب، وبك أعاقب» وفي هذه النصوص ما يدعو إلى احترام الإنسان، وتكريم ذاته، والحرص على تقدير مشاعره، وبذلك يضع الإسلام الإنسان، في أعلى منزلة، وأسمى مكان، حتى أنه يعتبر الاعتداء عليه، اعتداء على المجتمع كله، والرعاية له رعاية للمجتمع كله، وقال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ ﴾ (المائدة: ٣٢) وتقرير الكرامة الإنسانية للفرد، يتحقق أيا كان الشخص، رجلًا أو امراة، حاكمًا أو محكومًا، فهو حق ثابت لكل إنسان، من غير نظر إلى لون أو جنس أو دين. حتى اللقيط في الطرقات ونحوها، يجب التقاطه احترامًا لذاته وشخصيته، فإذا رآه أحد ملقى في الطريق، وجب عليه أخذه، فإن تركوه دون التقاطه أثموا جميعًا أمام الله تعالى، وكان عليهم تبعة هلاكه. هذا وكما حرص الإسلام على احترام الإنسان حيًّا، فقد أمر بالمحافظة على كرامته ميتًا، فمنع التمثيل بجثته، وأوجب تجهيزه ودفنه، ونهى عن الاختلاء والجلوس على القبور.

٢ / **تأمين الذات**: بضمان سلامة الفرد وأمنه في نفسه وعرضه وماله، فلا يجوز التعرض له بقتل أو جرح، أو أي شكل من أشكال الاعتداء، سواء كان على البدن، كالضرب والسجن ونحوه، أو على النفس والضمير، كالسب أو الشتم والازدراء والانتقاص وسوء الظن ونحوه، ولهذا قرر الإسلام زواجر وعقوبات، تكفل حماية

الإنسان ووقايته من كل ضرر أو اعتداء يقع عليه، ليتسنى له ممارسة حقه في الحرية الشخصية. وكلما كان الاعتداء قويًّا كان الزجر أشد، ففي الاعتداء على النفس بالقتل وجب القصاص، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ﴾ (البقرة: ١٧٨) أو كان الاعتداء على الجوارح بالقطع وجب القصاص أيضًا كما قال تعالى: ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ ﴾ (المائدة: ٤٥) ومنع عمر بن الخطاب ﷺ الولاة من أن يضربوا أحدًا إلا أن يكون بحكم قاض عادل، كما أمر بضرب الولاة الذين يخالفون ذلك بمقدار ما ضربوا رعاياهم، بل إنه في سبيل ذلك منع الولاة من أن يسبوا أحدًا من الرعية، ووضع عقوبة على من يخالف ذلك.

ب - **حرية التنقل (الغدو والرواح)**: والمقصود بها: أن يكون الإنسان حرًّا في السفر والتنقل داخل بلده وخارجه دون عوائق تمنعه. والتنقل بالغدو والرواح حق إنساني طبيعي، تقتضيه ظروف الحياة البشرية من الكسب والعمل وطلب الرزق والعلم ونحوه، ذلك أن الحركة شأن الأحياء كلها ، بل تعتبر قوام الحياة وضرورتها وقد جاء تقرير حرية التنقل بالكتاب والسنة والإجماع، ففي الكتاب قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ (الملك: ١٥) ولا يمنع الإنسان من التنقل إلا لمصلحة راجحة، كما فعل عمر بن الخطاب ﷺ في طاعون عمواس، حين منع الناس من السفر إلى بلاد الشام، الذي كان به هذا الوباء، ولم يفعل ذلك إلا تطبيقًا لقول رسول الله ﷺ «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه» ولأجل تمكين الناس من التمتع بحرية التنقل، حرم الإسلام الاعتداء على المسافرين، والتربص لهم في الطرقات، وأنزل عقوبة شديدة على الذين يقطعون الطرق ويروعون الناس

بالقتل والنهب والسرقة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٣) ولتأكيد حسن استعمال الطرق وتأمينها، نهى النبي ﷺ صحابته عن الجلوس فيها، فقال: «إياكم والجلوس في الطرقات ، قالوا: يا رسول الله، ما لنا بد في مجالسنا، قال: فإن كان ذلك، فأعطوا الطريق حقها، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: غض البصر وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» فالطرق يجب أن تفسح لما هيئ لها، من السفر والتنقل والمرور، وأي استعمال لغير هدفها محظور لا سيما إذا أدى إلى الاعتداء على الآمنين، ولأهمية التنقل في حياة المسلم وأنه مظنة للطوارئ، فقد جعل الله تعالى ابن السبيل – وهو المسافر – أحد مصارف الزكاة إذا ألم به ما يدعوه إلى الأخذ من مال الزكاة، ولو كان غنيًّا في موطنه.

ج – **حرية المأوى والمسكن**: فمتى قدر الإنسان على اقتناء مسكنه، فله حرية ذلك، كما أن العاجز عن ذلك، ينبغي على الدولة أن تدبر له السكن المناسب، حتى تضمن له أدنى مستوى لمعيشته.

روى أبو سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له» وقد استدل الإمام ابن حزم بهذا الحديث وغيره على أن أغنياء المسلمين مطالبون بالقيام على حاجة فقرائهم إذا عجزت أموال الزكاة والفيئ عن القيام بحاجة الجميع من الطعام والشراب واللباس والمأوى، الذي يحميهم من حر الصيف وبرد الشتاء وعيون المارة. والدولة هي التي تجمع هذه الأموال وتوزعها على المحتاجين، ولا فرق في

هذا بين المسلمين وغيرهم؛ لأن هذا الحق يشترك فيه جميع الناس، كاشتراكهم في الماء والنار، فيضمن ذلك لكل فرد من أفراد الدولة بصرف النظر.

فإذا ما ملك الإنسان مأوى ومسكن، فلا يجوز لأحد، أن يقتحم مأواه، أو يدخل منزله إلا بإذنه، حتى لو كان الداخل خليفة، أو حاكمًا أعلى - رئيس دولة - ما لم تدع إليه ضرورة قصوى، أو مصلحة بالغة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ (النور: ٢٧ - ٢٨) وإذا نهي عن دخول البيوت بغير إذن أصحابها، فالنهي عن الاستيلاء عليها، أو هدمها أو إحراقها من باب أولى، إلا إذا كان ذلك لمصلحة الجماعة، بعد ضمان البيت ضمانًا عادلًا، وهذه المصلحة قد تكون بتوسعة مسجد، أو بناء شارع، أو إقامة مستشفى، أو نحو ذلك، وقد أجلى عمر بن الخطاب ﷺ أهل نجران، وعوضهم بالكوفة، ولحفظ حرمة المنازل وعظمتها، حرم الإسلام التجسس، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ ﴾ (الحجرات: ١٢) وذلك لأن في التجسس انتهاكًا لحقوق الغير، والتي منها: حفظ حرمة المسكن، وحرية صاحبه الشخصية بعدم الاطلاع على أسراره، بل وبالغ الإسلام في تقرير حرية المسكن بأن أسقط القصاص والدية عمن انتهك له حرمة بيته، بالنظر فيه ونحوه، يدل على ذلك حديث أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من اطلع في دار قوم بغير إذنهم ففقأوا عينه، فقد هدرت عينه» وهدرت: أي لا ضمان على صاحب البيت. فعين الإنسان - رغم حرمتها وصيانتها من الاعتداء عليها، وتغليظ الدية فيها - لكنها هنا أهدرت ديتها بسبب سوء استعمالها واعتدائها على حقوق الغير.

د – حرية التملك: ويقصد بالتملك: حيازة الإنسان للشيء وامتلاكه له، وقدرته على التصرف فيه، وانتفاعه به عند انتقاء الموانع الشرعية، وله أنواع ووسائل نوجزها في الآتي:

أنواع الملكية: للملكية أو التملك نوعان بارزان، هما: تملك فردي، وتملك جماعي.

فالتملك الفردي: هو أن يحرز الشخص شيئًا ما، وينتفع به على وجه الاختصاص والتعين.

وقد أعطى الإسلام للفرد حق التملك، وجعله قاعدة أساسية للاقتصاد الإسلامي، ورتب على هذا الحق نتائجه الطبيعية في حفظه لصاحبه، وصيانته له عن النهب والسرقة، والاختلاس ونحوه، ووضع عقوبات رادعة لمن اعتدى عليه، ضمانًا له لهذا الحق، ودفعًا لما يتهدد الفرد في حقه المشروع. كما أن الإسلام رتب على هذا الحق – أيضًا – نتائجه الأخرى، وهي حرية التصرف فيه بالبيع أو الشراء، والإجارة والرهن، والهبة والوصية وغيرها من أنواع التصرف المباح.

غير أن الإسلام لم يترك (التملك الفردي) مطلقًا من غير قيد، ولكنه وضع له قيودًا كي لا يصطدم بحقوق الآخرين، كمنع الربا والغش والرشوة والاحتكار ونحو ذلك، مما يصطدم ويضيع مصلحة الجماعة. وهذه الحرية لا فرق فيها بين الرجل والمرأة، قال الله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ﴾ (النساء: ٣٢).

أما النوع الثاني وهو التملك الجماعي: وهو الذي يستحوذ عليه المجتمع البشري الكبير ، أو بعض جماعاته، ويكون الانتفاع بآثاره لكل أفراده، ولا يكون انتفاع الفرد

به؛ إلا لكونه عضوًا في الجماعة، دون أن يكون له اختصاص معين بجزء منه مثاله: المساجد والمستشفيات العامة والطرق والأنهار والبحار وبيت المال ونحو ذلك. وما كان ملكًا عامًّا يستخدم في المصالح العامة، وليس لحاكم أو نائبه أو أي أحد سواهما أن يستقل به أو يؤثر به أحد ليس له فيه استحقاق بسبب مشروع، وإنما هو مسؤول عن حسن إدارته وتوجيهه التوجيه الصحيح الذي يحقق مصالح الجماعة ويسد حاجاتها.

وسائل الملكية: وهي طرق اكتسابها، التي حددها الإسلام، وعينها، وحرم ما سواها، ويمكن تقسيمها أيضًا إلى قسمين: وسائل الملكية الفردية، والجماعية.

- **وسائل الملكية الفردية، ولها مظهران:**

المظهر الأول: الأموال المملوكة، أي المسبوقة بملك، وهذه الأموال لا تخرج من ملك صاحبها إلى غيره إلا بسبب شرعي كالوراثة، أو الوصية، أو الشفعة، أو العقد، أو الهبة، أو نحوها.

المظهر الثاني: الأموال المباحة، أي غير المسبوقة بملك شخص معين، وهذه الأموال لا يتحقق للفرد تملكها إلا بفعل يؤدي إلى التملك ووضع اليد، كإحياء موات الأرض والصيد، واستخراج ما في الأرض من معادن، وإقطاع ولي الأمر جزءًا من المال لشخص معين، والعمل، ونحوه. على أن ثمة قيودًا على الملكية الفردية ، تجمل فيما يلي:

١ / مداومة الشخص على استثمار المال؛ لأن في تعطيله إضرارًا بصاحبه، وبنماء ثروة المجتمع.

٢ / أداء زكاته، إذا بلغ نصابًا؛ لأن الزكاة حق المال، وكذلك إنفاقه في سبيل الله.

٣/ اجتناب الطرق المحرمة للحصول عليه، كالربا، والغش والاحتكار ونحوه.

٤/ عدم الإسراف في بذله أو التقتير.

- وسائل الملكية الجماعية، وأشكالها كثيرة جدًّا نلخصها في الآتي:

المظهر الأول: الموارد الطبيعية العامة، وهي التي يشترك فيها جميع الناس في الدولة دون جهد أو عمل. كالماء، والكلأ، والنار، وملحقاتها.

المظهر الثاني: الموارد المحمية، أي التي تحميها الدولة لمنفعة المسلمين أو الناس كافة، مثل: المقابر، والمعسكرات، والدوائر الحكومية، والأوقاف، والزكوات ونحوها.

المظهر الثالث: الموارد التي لم تقع عليها يد أحد، أو وقعت عليها ثم أهملتها مدة طويلة كأرض الموات.

المظهر الرابع: الموارد التي تجنيها الدولة بسبب الجهاد كالغنائم والفيء ونحوها.

هـ - حرية العمل: العمل عنصر فعال في كل طرق الكسب التي أباحها الإسلام، ولذلك فإن الإسلام أقر بحق الإنسان فيه في أي ميدان يشاؤه ولم يقيده إلا في نطاق تضاربه مع أهدافه أو تعارضه مع مصلحة الجماعة. ولأهمية العمل في الإسلام، اعتبر نوعًا من الجهاد في سبيل الله، كما روى ذلك «كعب بن عجرة ﷺ قال: (مر على النبي ﷺ رجل، فرأى أصحاب الرسول الله ﷺ من جلده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: إن كان خرج يسعى على ولده صغارًا، فهو في سبيل الله، وإن خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين، فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها، فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان» وهكذا نجد كثيرًا من

نصوص الكتاب والسنة، تتحدث عن العمل، وتحث عليه، وتنوه بأعمال متنوعة كصناعة الحديد ونجارة السفن، وفلاحة الأرض، ونحو ذلك؛ لأن العمل في ذاته وسيلة للبقاء، والبقاء – من حيث هو – هدف مرحلي للغاية الكبرى، وهي عبادة الله، وابتغاء رضوانه، وبقدر عظم الغاية تكون منزلة الوسيلة، فأعظم الغايات هو رضوان الله تعالى، وبالتالي فإن أعظم وسيلة إليها هي العمل والتضحية، وإنما نوه القرآن بالعمل والكسب للتنبيه على عظم فائدته وأهميته للوجود الإنساني، وأنه أكبر نعمة الله على الإنسان.

الصنف الثاني: وأرجو ألا تكونوا قد نسيتم الصنف الأول: وهو الحرية المتعلقة بحقوق الفرد المادية. أما الحرية المتعلقة بحقوق الفرد المعنوية، وهذا الصنف يشمل الآتي:

أ – حرية الاعتقاد: ويقصد بها اختيار الإنسان لدين يريده بيقين، وعقيدة يرتضيها عن قناعة، دون أن يكرهه شخص آخر على ذلك. فإن الإكراه يفسد اختيار الإنسان، ويجعل المكره مسلوب الإرادة، فينتفي بذلك رضاه واقتناعه وإذا تأملنا قول الله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ (البقرة: ٢٥٦) نجد أن الإسلام رفع الإكراه عن المرء في عقيدته، وأقر أن الفكر والاعتقاد، لا بد أن يتسم بالحرية، وأن أي إجبار للإنسان، أو تخويفه، أو تهديده على اعتناق دين أو مذهب أو فكرة، باطل ومرفوض؛ لأنه لا يرسخ عقيدة في القلب، ولا يثبتها في الضمير؛ لذلك قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ (يونس: ٩٩) وقال أيضًا ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾ (الغاشية: ٢١ – ٢٢) كل هذه الآيات وغيرها، تنفي الإكراه في الدين، وتثبت حق الإنسان في اختيار دينه الذي يؤمن به. **هذا ويترتب على حرية الاعتقاد ما يلي:**

١ / **إجراء الحوار والنقاش الديني**: وذلك بتبادل الرأي والاستفسار في المسائل الملتبسة، التي لم تتضح للإنسان، وكانت داخلة تحت عقله وفهمه - أي ليست من مسائل الغيب - وذلك للاطمئنان القلبي بوصول المرء إلى الحقيقة التي قد تخفى عليه. وقد كان الرسل والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - يحاورون أقوامهم ليسلموا عن قناعة ورضا وطواعية، بل إن إبراهيم - أبا الأنبياء عليه السلام - حاور ربه في قضية الإحياء والإماتة ليزداد قلبه قناعة ويقينًا، وذلك فيما حكاه القرآن لنا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٠) بل إن في حديث جبريل عليه السلام، الذي استفسر فيه رسول الله ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وعلامات الساعة دليل واضح على تقرير الإسلام لحرية المناقشة الدينية، سواء كانت بين المسلمين أنفسهم، أو بينهم وبين أصحاب الأديان الأخرى، بهدف الوصول إلى الحقائق وتصديقها، لا بقصد إثارة الشبه والشكوك والخلافات، فمثل تلك المناقشة ممنوعة، لأنها لا تكشف الحقائق التي يصل بها المرء إلى شاطئ اليقين.

٢ / **ممارسة الشعائر الدينية**: وذلك بأن يقوم المرء بإقامة شعائره الدينية، دون انتقاد أو استهزاء، أو تخويف أو تهديد، ولعل موقف الإسلام الذي حواه التاريخ تجاه أهل الذمة - أصحاب الديانات الأخرى - من دواعي فخره واعتزازه، وسماحته، فمنذ نزل الرسول ﷺ يثرب - المدينة المنورة - أعطى اليهود عهد أمان، هذا العهد يقتضي فسح المجال لهم أمام دينهم وعقيدتهم، وإقامة شعائرهم في أماكن عبادتهم. ثم سار على هذا النهج الخلفاء الراشدون، فكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل إيلياء - القدس - معاهدة جاء فيها: هذا ما أعطاه عمر أمير المؤمنين، أهل إيلياء من

الأمان، أعطاهم أمانًا على أنفسهم، ولكنائسهم وصلبانهم، لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من غيرها ولا من صلبهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم. وها هم علماء أوروبا اليوم، يشهدون لسماحة الإسلام، ويقرون له بذلك في كتبهم؛ قال ميشود في كتابه (تاريخ الحروب الصليبية): إن الإسلام الذي أمر بالجهاد، متسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وهو قد أعفى البطاركة والرهبان وخدمهم من الضرائب، وقد حرم قتل الرهبان - على الخصوص - لعكوفهم على العبادات، ولم يمس عمر بن الخطاب النصارى بسوء حين فتح القدس، وقد ذبح الصليبيون المسلمين وحرقوا اليهود عندما دخلوها: أي مدينة القدس.

ب - **حرية الرأي**: وتسمى أيضًا بحرية التفكير والتعبير، وقد جوز الإسلام للإنسان أن يقلب نظره في صفحات الكون المليئة بالحقائق المتنوعة، والظواهر المختلفة، ويحاول تجربتها بعقله، واستخدامها لمصلحته مع بني جنسه؛ لأن كل ما في الكون مسخر للإنسان. وباستعراض التاريخ الإسلامي، نجد أن حرية الرأي طبقت تطبيقًا رائعًا، منذ عصر النبوة، فهذا الصحابي الجليل، حباب بن المنذر، أبدى رأيه الشخصي في موقف المسلمين في غزوة بدر، على غير ما كان قد رآه النبي ﷺ، فأخذ النبي ﷺ برأيه، وأبدى بعض الصحابة رأيهم في حادثة الإفك، وأشاروا على النبي ﷺ بتطليق زوجته عائشة - رضي الله عنها - إلا أن القرآن برأها، وغير ذلك من المواقف الكثيرة التي كانوا يبدون فيها آراءهم.

ج - **حرية التعلم**: طلب العلم والمعرفة، حق كفله الإسلام للفرد، ومنحه حرية السعي في تحصيله، ولم يقيد شيئًا منه، مما تعلقت به مصلحة المسلمين دينًا ودنيا، بل انتدبهم لتحصيل ذلك كله، وسلوك السبيل الموصل إليه، أما ما كان من العلوم بحيث لا يترتب على تحصيله مصلحة، وإنما تتحقق به مضرة ومفسدة، فهذا منهي

عنه، ومحرم على المسلم طلبه، مثل: علم السحر والكهانة، ونحو ذلك.

ولأهمية العلم والمعرفة في الحياة، نزلت آيات القرآن الأولى تأمر النبي ﷺ بالقراءة، قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾(العلق: ١ – ٥) والقراءة هي مفتاح العلم؛ ولذلك لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، ونصب عليه الكفار الحرب، وانتصر المسلمون وأسروا من أسروا من المشركين، جعل فداء كل أسير من أسراهم، تعليم القراءة والكتابة لعشرة من صبيان المدينة، وهذا من فضائل الإسلام الكبرى؛ حيث فتح للناس أبواب المعرفة، وحثهم عليها والتقدم فيها، وكره لهم القعود عن العلم والتخلف عن قافلة الحضارة والرفاهية والازدهار. و من أجل ذلك كان على الدولة الإسلامية، أن تيسر سبل التعليم للناس كافة، وتضمن لكل فرد حقه في ذلك لأن هذا الحق مضمون لكل فرد من رعاياها، كسائر الحقوق الأخرى.

د – الحرية السياسية: ويقصد بها: حق الإنسان في اختيار سلطة الحكم، وانتخابها، ومراقبة أدائها، ومحاسبتها، ونقدها، وعزلها، إذا انحرفت عن منهج الله وشرعه، وحولت ظهرها عن جادة الحق والصلاح.

كما أنه يحق له المشاركة في القيام بأعباء السلطة، ووظائفها الكثيرة؛ لأن السلطة حق مشترك بين رعايا الدولة، وليس حكرًا على أحد، أو وقفًا على فئة دون أخرى .... وأهل الحل والعقد وهم أهل الشورى، هم الذين ينوبون عن الأمة كلها في كثير من الأمور منها: القيام بالاجتهاد فيما لا نص فيه، لأن الحاكم لا بد أن يرجع في الكثير من أمور الدولة، إلى أهل الخبرة والاختصاص من ذوي العلم والرأي، كما أنهم يوجهون الحاكم في التصرفات ذات الصفة العامة، أو الدولية، كإعلان الحرب، أو الهدنة، أو إبرام معاهدة، أو تجميد علاقات، أو وضع ميزانية،

أو تخصيص نفقات لجهة معينة أو غير ذلك من التصرفات العامة، التي لا يقطع فيها برأي الواحد. قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾ (النساء: ٥٨). وقال رسول الله ﷺ: «**الدين النصيحة. قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.**»

هذه هي حريتنا الحقيقية التي شرعها الله لنا وأبلغنا بها رسول الله، وليست الحرية المزيفة الباطلة التي تؤدي بنا إلى الهلاك والسقوط والسماح لأعدائنا بالتوغل داخل أحشائنا، حتى يتركونا جثث هامدة لا تقدر على الحراك، وبالفعل هم بدأوا ذلك عن طريق عملائهم الليبراليين والعلمانيين الذين تحكموا في الإعلام والصحافة ونشروا أفكارهم، ونجحوا في فساد الحاكم والمحكوم، ونجحوا في انتشار العري على أنه حرية، أية حرية هذه التي أدت إلى الفواحش، وأية حرية هذه التي أدت إلى الموبقات، أدت إلى انتشار الزواج العرفي، وما هو إلا زنا، أدت إلى تعري البنات في الشوارع، أدت إلى ارتفاع أصوات الأبناء على آبائهم وأمهاتهم، أدت إلى أن يجلس الأطفال أمام الشاشات ويرون القبلات التي تخدش براءتهم، يرون الرجل مع المرأة في أوضاع سيئة، أهذه هي الحرية؟ الحرية التي أدت إلى أن يزني الرجل بابنته، أن يزني الأخ بأخته، للأسف لقد انتشر الطاعون، وتفشي السرطان، ولن نشفى منه إلا بإذن الله وحده، ولكن بعد أن نأخذ بأسباب النصر؛ لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، بأن نقيم شرع الله، بأن ننتهج منهج رسول الله، بأن نقرأ ونتعمق في سير الصحابة، بأن نميز ونعقل من هذا الشخص الذي يدعوا إلى اعتراض أو إلى خروج على حاكم، أو إلى فوضى في المجتمع، ولا ننساق وراءه كالميت بين يدي المغسل، يجب أن نفرق بين من يريد هدمنا، ومن يريد بنائنا، وتكفينا في هذا أحاديث رسول الله ﷺ ويكفينا في هذا دستورنا السماوي، الذي وضعه الله لنا من فوق سبع

سماوات وهو قرآنه العظيم، الذي يكفينا أنه كلام الله ليس كلام بشر، يكفينا أنه قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (النور: ٥٥) أفيقوا يا مسلمين، أفيقوا فقد اقترب العدو منكم جدًّا جدًّا جدًّا، ولم يعد له إلا خطوات معدودة ليلتهم فريسته، ألا قد بلغت اللهم فاشهد، فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله، إن الله بصير بالعباد.

***